بنو الفرات

فى ظلال خلافة العباسيين

ت: ٢٧٥ - ٣٢٧هـ

إعداد

الدكتور/ محسن سعد عبد الله[١]

أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد

بكلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

إن من يتوفر على دراسة التاريخ العباسى فى عصره الثانى يجد عدة أسر قد أشرقت شموسها فى سماء ذلك العصر بحيث صارت أسماء تلك الأسر مرتبطة بأحداث عظيمة شهدها هذا العصر؛ وماذلك إلا لأن الخلافة قد غدت ضعيفة تسيرها أهواء الأتراك اللذين بسطوا سيطرتهم ودعموا نفوذهم على حساب الخلفاء العباسيين.

ولسنا هنا بصدد بيان مظاهر النفوذ التركى على الخلافة العباسية لأن ذلك يخرجنا عن مقصدنا الذى أنشأنا من أجله تلك الدراسة، إنما الذى يعنينا هو إبراز نفوذ أسرة الفراتيين فى الدولة العباسية ذلك النفوذ الذى ظهرت بوادره الأولى قبل خلافة "المعتضد" إلى أن استطاعوا فى عهد "المقتدر" ومن جاء بعده أن يصبحوا أصحاب حولٍ وطولٍ فى الدولة؛ لا تُقضى الأمور إلا بمشورتهم فكأنهم دولة داخل دولة ولا أغالى إذا ماقلت إنهم كانوا ملاذ الطالبين للعطاء ومحط أنظار الطامحين إلى الشهرة وتبوء المناصب، فحق لنا أن نطلق على الفترة التى بدأت تتولى فيها تلك الأسرة منصب الوزارة اسم "دولة الفراتيين"، وحتى يتجلى لنا تلك الحقيقة التى أبرزناها يحسن بنا إيراد الأطوار التى مر بها تاريخ تلك الأسرة، إلى أن كان من أمرها مأأشرنا إليه.

بنو الفرات قبل المقتدر:

نشأت تلك الأسرة فى قرية تابعة لإقليم النهروان الأعلى تسمى بابك (بابلى[١]).

وذكر "الصولى" أن الأسرة المذكورة اشتهرت باسم: "العاقوليين"، لأن جدهم ابتاع ضياعاً بقرية "العاقول" ثم انتقل إليها وأقام بها[٢]، ومن بعده رحل أولاده عنها إلى قرية "بابك: واستقروا بها لكن نسبتهم إلى تلك القرية التى كانت مستقر جدهم ظلت تصاحبهم.

وأكبر أولاد الجد"محمد بن موسى بن الفرات" "أبو العباس أحمد" و"أبو عبد الله" و"أبو عيسى" من خيار المسلمين والزهاد؛ فقد جاور "بمكة" وواصل بها الصوم والصلاة ومات فى وزارة أخيه[٣].

ويبدو أن "محمد بن موسى" كان ممن تمتعوا بسعة العيش فى بلدته؛ فكان مسموع الكلمة يتولى الأعمال ويعاون الولاة؛ يدلنا على ذلك أن ولديه "أحمد" و"على" حين ترك مسقط رأسيهما واتجها إلى حاضرة الدولة العباسية شأنهما فى ذلك شأن أترابهما من الشباب لم يأخذا معهما والدهما وحتى بعد أن استطع أن يجدا لأنفسهما مكاناً ومكانة فى عاصمة الدولة العباسية لم يستقدما والدهما الذى ظل مقيماً ببلدته (بابك) إلى أن وافته المنية.

---

(١) الصابى: تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء: ص١١ - ص١٢.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء: ج١٤، ص٤٧٤.

(٣) عبد الملك الهمزانى: التكملة: ص٢٤٦.

ولم تذكر لنا المصادر طبيعة عمل "محمد بن موسى" في قريته بشكل محدد يسمح لنا بالحكم له أو عليه من خلال شغله لوظيفته أو القول بأن ولديه "أحمد" و"علي" قد نهجا منهجه وحذا حذوه حتى وصلا إلى مناصب مرموقة في الدولة العباسية؛ فإن الوزير "إسماعيل بن بلبل[١]"، قد وثق فيهما ثقة كبيرة لما لمسه فيهما من كياسة وحسن سياسة في العمل والإخلاص له، ومن ثم فإنه حين ألقي القبض عليه أودعا في غياهب السجن وقت أن قامت فتنة كبيرة في الدولة العباسية -بُعيد خلافة "المعتضد"- عصفت بالوزير وجعلت الوزارة في يد "عبدالله بن سليمان[٢]".

ولم يكن الوزير المذكور كفأ لمنصبه هذا، فقد تضعضعت أحوال الدولة في عهده وأصبح عاجزاً عن الوفاء بالتزاماته المالية؛ فتشاور في

---

(١) أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني أحد الشعراء المعروفين في عصره، تولى الوزارة للمعتمد سنة خمس وستين ومائتين ثم عزل ثم وزر ثم عزل ثم وزر ثالثاً، تقاضى راتباً مثل كبار الملوك في عصره قال "أبو العباس بن الفرات": حضرت مجلس الوزير للمظالم فما انصرف أحد إلا بصلة أو ولاية أو قضاء حاجة أو إنصاف!! ولد "بن بلبل" سنة ثلاثين ومائتين، قبض عليه في صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين، وعذب بألوان العذاب وألبس أحقر الثياب فزل بعد عزة إلى أن وافته المنية بمحبسه هذا في جمادى الأولى من العام المذكور. الذهبي: كتاب سير أعلام النبلاء: ج١٣، ص٢٠١.

(٢) المسعودي: مروج الذهب: ج٢، ص٤٩٣ - ص٤٩٥، التنوخي: نشوار المحاضرة ج٤، ص٧٠.

ذلك مع أصفيائه، فنصحوه بأن يستعين بولدى "محمد بن موسى بن الفرات" "أحمد" و"على"؛ فلقد كانا ساعدين "لابن بلبل" استطاع بهما أن يسير بالبلاد فى رخاء فأطلق "ابن سليمان" صراحهما وأدناهما إليه.

وصار لا يفعل أمراً إلا برأيهما!! وقد أحسن "أحمد العباس" و"على" السيرة فى عملهما الذى ولاهما إياه الوزير "ابن سليمان" فأحبتهما الرعية ولهجت ألسنتها بالثناء عليهما؛ حيث لم يدعا سبيلاً لواش يصل بوشايته على أحد إليهما: فبدأ عهدهما بصفحة بيضاء قدما فيها الحسنة على السيئة، وآية ذلك، أن "أبا العباس أحمد بن الفرات" حين كان يعمل وأخوه بالديوان دفع إلى الأول الوزير "عبد الله بن سليمان" إضبارة ضخمة وقال له: ياأبا العباس، هذه الإضبارة، وقائع وسعايات بك وبأخيك من أسبابكما، وثقاتكما وصنائعكما، خبأتها لك، لتعرف بها من ينبغى أن تحترس منه، وتعامل كل واحد بما يستحقه فأكثر أبو العباس من شكره والدعاء له وبدأ أبو الحسن يقرأ شيئاً من الإضبارة فانتهره أبو العباس وقال: لا تقرأ شيئاً منها، وأخذها فطرحها فى النار وقال: ماكنت لأقابل نعمة الله، على ماوهبه لىّ من تفضل الوزير بما يوجب الإساءة إلى أحد ولا حاجة بى إلى قراءة مايوحشنى من أسبابى ويجر عليهم إساءة منى فقال الوزير "عبد الله بن سليمان" أردت التفرد بمكرمة، فسبقنى أبو العباس إليها[١]!! مكن ابنا الفرات لأنفسهما بهذه السيرة الطيبة فى فؤاد الوزير وأمير المؤمنين إلى حد أن "أحمد بن الفرات" أشار على "المعتضد" بما جعله يقلع عن بعض أعمالا

---

(١) الصابى: تاريخ الوزراء: ص٨٣.

إنشائية أراد القيام بها لما فيها من انعدام الفائدة التى تعود على الدولة[١].

ومهما يكن من أمر فإن "أحمد بن الفرات" قد استطاع إظهار براعته الإدارية من خلال إدارته ديوان المال حيث تضاعف دخل الدولة خلال مدة رياسته له إذا ماقارناه بالدخول التى كانت تأتى الحاضرة فى عهود أسلافه؛ والذى يدلنا على كفاءة أحمد بن الفرات الإدارية، أنه أنشأ "ديوان الدار[٢]" لكى يستطيع بواسطته زيادة تحكمه فى الأمور وضبط المصروفات والإيرادات ضبطاً دقيقاً!!

وكان هذا الديوان بمثابة مدرسة خرجت لنا رجالاً أثروا على مجريات الأحداث فى هذه الفترة من فترات التاريخ العباسى؛ فمنهم على سبيل المثال لا الحصر: "محمد بن داود الكاتب[٣]" "علىّ بن عيسى

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٣، ص٤٢٢ - ص٤٢٤.

(٢) وظيفة فى العصر العباسى مهمة صاحبها الإشراف على دار الخليفة والعمل على مراعاة الآداب فيها وقد تسند إليه الحجابة أو بعض مهام الكتابة الخاصة بالسلطان. حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف: ج١، ص٤٠.

(٣) أبو عبد الله الكاتب الأخبارى صاحب المصنفات أوحد أهل زمانه فى معرفة أيام الناس أشهر من تعلم عليهم عمر بن شيبة توفى فى فتنة ابن المعتز كما سأبينه. الذهبى: العبر: ج١، ص٤٣٢، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب: ج٢، ص٢٢٥.

الوزير[١]" الذى اعترف بعظيم استفادته هو و"ابن مُقلة" من العمل فى هذا الديوان وغيره تحت سيطرة "أحمد بن الفرات" ثم "علىّ" أخوه - كما سنبينه-.

تولى "أحمد" ديوان المشرق وديوان المغرب فى عهد "المعتضد" إلى سنة ٢٨٦هـ، فعين الخليفة "محمد بن داود بن الجراح" على ديوان المشرق و"على بن عيسى" على ديوان المغرب عوضا عنه[٢].

وربما يعزى هذا العزل إلى سعايات سعى بها للخليفة فى حق "أحمد"، لأن كل ذى نعمة محسود عليها، ولأن العصر الذى نحن بصدد الحديث فيه عن الوزارة التى تولتها تلك الأسرة، لم تكن المناصب فيه فى الأغلب الأعم تعطى للأكفاء بقدر ماتعطى لمن بذل المال الوفير!!

وإذا ما أردنا الإلماع إلى الظروف التى مرت بها الدولة العباسية بعد عزل "أحمد" عن هذا الديوان وجدناها تمشى فى ركاب الفراتيين؛ حيث إن الدولة أخذت تسير من سيء إلى أسوء من لدُن تولى إدارة وزارتها ودواوينها "عبد الله بن سليمان" و"القاسم بن خاقان"

---

(١) أبو الحسن عيسى بن داود بن بن الجراح البغدادى تولى الوزارة غير مرة كما سنذكره بعد ذلك شهد له غير واحد من المؤرخين بالعلم وجودة الإسناد فى الحديث كان بين الوزراء كعمر بن عبد العزيز بين الخلفاء. توفى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة عن عمر بنع تسعين عام. ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب: ج٢، ص٣٢٦.

(٢) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك: ج١٠، ص٧٣

و"العباس بن الحسن"، والأخير كان غاية فى إهمال تدبير شئون إدارات الدولة؛ فما كان عليه إلا التوقيع على أوراق أعدها معاونوه له لا يدرى مافيها[١]!!

والذى لا مراء فيه أن أولى الأمر أو فى سوء أحوال الدولة ما يجعلهم ينظرون بأعين الإعجاب إلى "بنى الفرات اللذين لعبوا بعد ذلك دوراً كبيراً فى الحياة السياسية فى "بغداد" خلال خلافة "المقتدر" -كما سنبينه-.

بنو الفرات فى ظلال خلافة المقتدر:

لما مرض المكتفى مرض الموت استدنا وزيره "العباس ابن الحسن" إليه ووصاه بجعل الأمر من بعده "لجعفر بن المعتضد". ويبدو لنا أو وصية "المكتفى" لم تلقى استحساناً لدى وزيره؛ فإنه رأى فيها وهناً سيصيب الخلافة ويسرع بها إلى الهاوية؛ حيث إن الموصى له لم يبلغ من العمر وقت وفاة "المكتفى" سوى ثلاثة عشر عاماً.

ولما كان "العباس بن الحسن" قد خبر أبا الحسن على بن الفرات" ووقف على كياسته وحسن سياسته فى تدبير الأمور؛ فإنه استشار فيمن يولوا على الدولة بعد "المكتفى"، ولقد حاول "ابن الفرات" ماوسعته المحاولات استعفاء نفسه من أمر كهذا؛ كى لا يجلب على نفسه أخطاراً مأغناه عن الوقوع فى مثلها. حيث عاش فى عصر

(١) ابن طباطبا: الفخرى: ص٢٣٣.

كانت تعليات الأمور فيه تعصف بالرجال دون إمهال أو سابق إنذار، فأبى "العباس" إلا أن يبدى "علىّ" برأيه فى الأمر، فقال بن الفرات: (فليتق الله الوزير ولا ينصب إلا من قد عرفه واطلع على جميع أحواله ولا ينصب بخيلا فيضيق على الناس ويقطع أرزاقهم، ولا طامعاً فيشره فى أموالهم فيصادرهم ويأخذ أملاكهم وأموالهم، ولا قليل الدين فلا يخاف العقوبة والأثام ويرجوا الثواب فيما يفعله، ولا من قد عرف دار هذا وبستان هذا وضيعة هذا وفرس هذا، ومن قد لقى الناس ولقوه وعاملهم وعاملوه وتحنَّك وحسب حساب الناس وعرف وجوه دخلهم وخراجهم فقال الوزير: صدقت ونصحت!! فيمن تشير؟ قال ابن "الفرات": "جعفر بن المعتضد[١]".

أخذ عباس بن الحسن برأى ابن الفرات فجاء "والجعفر ابن المعتضد" ليبايعوه بالخلافة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين[٢] وقد تولى "صفى الحرمى[٣]" أخذ البيعة له من رجال القصر وبذلك تكون الخلافة قد آلت إلى المقتدر لسببين:

أولهما: -وصية "المكتفى" وثانيهما: رأى "ابن الفرات". والذى لا ريب فيه أن رأى "ابن الفرات فى الخليفة قد وصل إليه؛ فسر به غاية السرور وراح يرقب الفرصة المواتية حتى يرفعه إلى أعلى الوظائف

---

(١) النويرى: نهاية الأرب: ج٢٣، ص٢٤.

(٢) المسعودى: مروج الذهب: ج٢٣، ص٢٣.

(٣) "لقب أطلق عليه، لأنه اختص بخدمة الحريم". التنوخى: تشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة: ج١، ص٣٣.

فواتته الفرصة حين قتل وزيره العباس بن الحسن فى فتنة "ابن المعتز[١]"، ذلك أن كبار رجال الدولة من أمثال ("محمد بن داود" و"الحسين بن حمدون[٢]" و"بدر الأعجمى" و"وصيف بن صوار تكين") تآمروا على "المقتدر" واعتقدوا أنهم سينجحون فى تآمرهم هذا نظراً لصغر سن الخليفة من ناحية وقصر المدة التى انقضت على بيعة الناس له من ناحية أخرى، أما المتآمرون "وارا" ابن المعتز" فعرضوا عليه قبول الجلوس فى دست الخلافة فوافهم على عرضهم على ألا يراق فى سبيل ذلك دماً. نجح "الحسين بن حمدان" فى الإجهاز على "العباس بن الحسن" وزير "المقتدر" "وفاتك المعتضدى" وأراد بعد ذلك الإجهاز على "المقتدر" فلم يتمكن من هذا الأمر؛ لأن الخليفة حيث سمع بمقتل وزيره تحصن بداره.

---

(١) ذكر المسعودى عنه أنه كان أديباً بليغاً -شاعراً- مطبوعاً مجوداً- مقتدراً على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ، جيد القديحة، حسن الاختراع ومن شعره لابن سليمان الوزير:

لآل سليمان بنى وهب صنائع　　إلى ومعروف لدى تقدما

هم علموا الأيام كيف تنبرنى　　وهم غسلوا من ثوب والدى الدما

ومن شعره فى ابن الفرات:

أبا حسن ثبت فى الأرض وطأتى　　وأدركنى فى المفصلات الهزاهز

والبسنى درعاً على حصيته　　فناديت صرف الدهر هل من مبارز

مروج الذهب ج٤/٢٩٤، ٢٩٥.

(٢) ابن حمدون الأمير أبو عبد الله التغلبى عم السلطان سيف الدولة، ولاه المقتدر ديار ربيعة أسرة ابن رائق وسيحته سنة ثلاث وثلاثمائة وقتل سنة ست وثلاثمائة للهجرة.

فتمم المؤتمرون البيعة "لابن المعتز" الذى استوزرا "محمد بن داود بن الجراح" وأرسلوا كتباً إلى الأقطار تحمل خبر البيعة!!. واختلف المؤرخون فى اللقب الذى لقبوه به، فمنهم من قال: إنه الغالب بالله، ومنهم من قال: إنه "الراضى لله".

وعلى أية حال فإن "المقتدر" لما بعث إليه "ابن المعتز" بالرحيل عن دار الخلافة، لم يبد اعتراضاً، وكاد يسلمها، لولا أن من حوله من الخلصاء أبوا إلا القتال إلى آخر رمق قبل أن يسلموها لابن المعتز فنجحوا فى إلحاق الهزيمة "بابن حمدان" وإلقاء القبض على "ابن المعتز" وقتلوه سراً.

وكان "ابن الفرات" فى غمرة هذه الفتن يجلس فى داره وأبى أن يزج بنفسه فى أتون[١] نارها فكانت هذه هى الأخرى مسهمة فى إعلاء منزلته عند "المقتدر" الذى قرر استوزاره للمرة الأولى إذا لم يكن من بين أعوان الخليفة رجال أكفاء يصلحون للمنصب.

وزارة ابن الفرات الأولى:

ماكاد "المقتدر" يفرغ من أمر "ابن المعتز" حتى بعث فى طلب "ابن الفرات" الذى كان قد استخفى عن أعين الناس، فأتو به إليه فخلع عليه خلع الوزارة الأولى يوم الأربعاء لأربع ليال خلون من ذى الحجة

---

(١) عبد الملك الهمزانى: التكملة: ص١٩٣ - ص١٩٤، النويرى: نهاية الأرب: ج٢٣، ص٢٧ - ص٣١.

سنة تسع وتسعين ومائتين[١]، لما جلس "ابن الفرات" على كرسى الوزارة كان عليه أن يتعامل مع من أثاروا فتنة "ابن المعتز" تعاملاً يرضى أمير المؤمنين من ناحية ومن ناحية أخرى يمكنه فى سرعة من رأب الصدع الذى أصاب قيادات الدولة بسبب تلك الفتنة، وإذا ماعلمنا أن الرجال الذين قادوا تلك الفتنة كانوا من ذوى الشوكة والمناعة فى حاضرة الدولة تبين لنا مدى ثقل تلك المهمة التى ألقيت على كاهل الوزير "على بن الفرات" الذى أظهر من الحكمة السياسية والبراعة القيادية فى معالجتها ماجعل المنصفين من رجالات عصره يثنون عليه فقد عامل كل واحد من قادة الفتنة بما يستحق؛ فنفى من نفى، وقتل من قتل، وحتى يتجلى لنا موقف "ابن الفرات" من رجالات فتنة "ابن المعتز" لتحكم له أو عليه نعرض لموقفه منهم واحد بعد آخر.

موقفه من "على بن عيسى":

كان "على بن عيسى" من الذين خالطوا "ابن الفرات" فى أطوار حياته الأولى "ببغداد"؛ ومن ثم فإن "ابن الفرات" وضع اعتباراً لتلك العلائق حين انزلقت أقدام "على بن عيسى" فى أوحال فتنة "ابن المعتز" فكتب الوزير إلى الخليفة أن "على بن عيسى" لم يكن ممن أثاروا فتنة "ابن المعتز" وخفف "ابن الفرات" عنه مال المصادرة إذا ماقارناه بالمال الذى حصله من غيره ممن تورطوا فى فتنة "ابن المعتز" ليس هذا

---

(١) المسعودى: مروج الذهب: ج٤، ص٣٠٤. التنوخى. نشوار محاضرة وأخبار المذاكرة: ج٥، ص٧٣. ص٧٤

فحسب، بل إن "ابن الفرات" دفع "لسوسن" الحاجب خمسة آلاف دينار من ماله الخاص، حتى يكف لسانه عن "على بن عيسى" بين يدى الخليفة، على أى حال فقد لبى "المقتدر" رغبة "ابن الفرات"، فوافق على نفى "على بن عيسى" إلى "واسط[١]". فسيره "ابن الفرات" إليها[٢].

موقف "ابن الفرات" من "محمد بن عبدون":

كان "محمد بن عبدون" من البارزين فى عصره بين الكتاب والوجهاء، وكانت له فى فتنة "ابن المعتز" مواقف حرض فيها السائرين على خلع "المقتدر"، فلما أخفق زعماء الفتنة فى تحقيق مآربهم كما أسلفنا، دفع "محمد بن عبدون" إلى "على بن الفرات"لمناظرته وصادره فى حضرة قرينه "على بن عيسى" وأحسن إليه كما أحسن لسابقه، فسعى لاستصدار أمر من الخليفة بنفيه إلى "الأهواز[٣]" فخرج من

---

(١) مدينة بالعراق بناها "الحجاج بن يوسف الثقفى فى موقع وسط بين "البصرة" و"الكوفة" إذ يفصلها عن كلتيهما خمسون فرسخاً. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع: ج٣، ص١٤١٩، عبد السلام الترمانينى: أزمنة التاريخ الإسلامى: ج٢، ق٤، ص١٠٩١.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٨، النويرى: نهاية الأرب: ج٢٣، ص٣٠.

(٣) يقع فى أقصى الشمال الشرقى من الخليج العربى وتعرف باسم (عربستان) وكان أسمها أيام الفرس "وخوزستان" فتحها "مرقوص بن زهير السعدى" بتأمير "عتبة بن عزوان" أيام تمصيره البصرة وولايته عليها. عبد السلام الترمانينى: أزمنة التاريخ الإسلامى: ج٢، ق٤، ص١٠٢١.

بغداد" متوجهاً إليها[١]، بيد أن "محمدا" لم يحفظ للوزير فضله، فوافق على الحضور إلى "بغداد" ليتولى الوزارة عوضاً عنه حين أغراه "سوسن" الحاجب بذلك في رسالة أرسلها مع رسول إلى "ابن عبدون" في "الأهواز". فلما ظهرت جلية الأمر "لابن الفرات"، أرسل من قبض على "ابن عبدون" وهو "بواسط"، فدفعه "لمؤنس الخادم" الذي تولى قبله[٢]؛ ليتخلص "ابن الفرات" من شخصيةٍ أودرتها طموحاتها مورد التهلكة.

وقع نبأ قتل "ابن عبدون" على "على بن عيسى" وقع الصاعقة!!، فخشى على نفسه من أن تحاك مؤامرات فى حضرة الخلافة للإيقاع به، فكتب إلى وزيره "على بن الفرات" كتاباً أظهر فيه الولاء له، وأنه مازال على وده، وأعلمه أن "محمد بن عبدون" قد غرر به المغررون ومكر به الماكرون، وطلب منه الإذن له بالخروج إلى "مكة"؛ ليسلم من الظنة وليس السلطان ذكره، فأجابه "ابن الفرات" إلى ذلك، وأخرجه من "واسط" إلى "مكة" على حال جميلة، فشخص إليها[٣] على طريق "البصرة[٤]".

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٨.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٣.

(٣) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٣، ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٨.

(٤) ميناء عراقية تقع على شط العرب بعد التقاء دجلة بالفرات، بينها وبين الخليج العربى خمس وسبعون ميلاً، أنشأها "عتبة بن غزوان" عام ست عشرة هجرية. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع: ج١، ص٢٠١، أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى: ج١، ص٣٢٢.

وكان على "ابن الفرات" أن يتخلص من عقبة كأداء، أظهرت له الود وأخفت عنه البغض، إلى أن انكشف أمرها في موقفها من "محمد بن عبدون"، ألا وهي شخصية "سوسن" الحاجب.

موقفه من "سوسن" الحاجب:

لما آل أمر الوزارة إلى "أبي الحسن علي بن الفرات" ألبس المنصب ثياب الهيبة، وكانت الأمور قبله تُدبر من قبل أولي الأمر في حضور رجال يؤثرون على القرارات، وينالون من هيبة الوزراء، فلما تولى "ابن الفرات"، نحى هؤلاء عن مثل هذه المشاركات، ومن هؤلاء الذين تأثروا بهذا الاتجاه الذي سلكه الوزير "ابن الفرات" "سوسن" الحاجب، الذي كان في عهد "العباس بن الحسن الوزير السابق على "ابن الفرات" يشارك في تدبير الأمور؛ فإذا به يُنحَّى عن مثل تلك المشاركة؛ فعقد الخناصر على الاتصال "بابن عبدون" سالف الذكر ليستوزره عوضاً عن ابن الفرات كي يعيد بهذا الفعل لنفسه مكانته الضائعة وسلطته التي سلبها إياه "ابن الفرات". فلما وقف الوزير بن الفرات على طاوية "سوسن الحاجب" سعى به عند الخليفة "المقتدر" فأوغر صدره عليه وأعلم "المقتدر" أن "سوسن" عمل على الإيقاع به ثم "الوزير" وأنه كان من أكبر أعضاء "عبد الله بن المعتز" وإنما خالفه أخيراً لما علم أنه قد استصحب غيره، فوافق "المقتدر" على القبض عليه وقتله من يومه[1].

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٢.

لم يصفوا الجو تماماً "لابن الفرات" بعد تخلصه من "سوسن" الحاجب إذ مازال أمامه خصم عنيد هو "الحسين بن حمدان" الذى كان قد قتل الوزير "العباس بن الحسن" و"فاتك المعتضدى"، واستطاع الفرار بنفسه من "بغداد".

موقف الوزير من ابن حمدان:

أمر "ابن الفرات" بتجيش العساكر للحاق "بالحسين بن حمدان"، فلحقوا به عند "الموصل[(١)]" و لم يظفروا به، فأرسل الوزير لأخيه "أبى الهيجاء بن حمدان" أمير الموصل يأمره بملاحقة أخيه، فصار "الحسين" إلى "سنجار"[(٢)] وأخوه فى أثره، فدخل البرية فتبعه أخوه عشرة أيام، فأدركه فاقتتلوا، فظفر أبو الهيجاء وأسر بعض أصحابه وأخذ منه عشرة آلاف دينار، وعاد عنه إلى "الموصل"، ثم انحدر إلى "بغداد" فلما كان فوق "تكريت[(٣)]"، أدركه أخوه "الحسين" فبينته فقتل منهم عدداً

---

(١) بالفتح وكسر الصاد مدينة بنى سورها ونصب جسرها مروان بن محمد وهى ببلاد العراق، سميت بهذا الاسم لكونها تصل الجزيرة والعراق، وبين دجلة والفرات. ابن الحق: مراصد الاطلاع: ج٢، ص١٣٣٣، عبد السلام الترمايني: أزمنة التاريخ: ج٢، ق٤، ص١٠٨٦.

(٢) بلدة عراقية تتبع لواء الموصل تقع بين دجلة ورافد الخابور المتفرع من الفرات. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى: ج٣، ص٥١٣.

(٣) مدينة عراقية تقع على نهر دجلة مابين سامرا والموصل، افتتحها المسلمون عام ست عشر هجرية على يد عبد الله بن المعتم. أحمد عطية الله:القاموس الإسلامى: ج١، ص٤٨٨.

وانحدر "أبو الهيجاء" إلى "بغداد" وأرسل "الحسين" إلى "ابن الفرات" وزير المقتدر يسأله الرضى عنه، فشفع فيه إلى "المقتدر بالله" ليرضى عنه وعن "إبراهيم بن" كغيلج وابن عمروية صاحب الشرطة وغيرهم، فرض عنهم، ودخل "الحسين" "بغداد" فرد عليه أخوه ماأخذه منه وأقام "الحسين" "ببغداد" إلى أن ولى "قم[١]" فسار إليها[٢].

والجدير بالذكر هنا أن "ابن الفرات" حين قبل التوسط بين الخليفة "والحسين بن حمدان" لم يكن ذلك إلا رغبة منه فى الاستفادة من طاقات رجالات الدولة فيما فيه صلاح لشأنها وازدهار لكافة مجالات الحياة بها وآية ذلك، موقفه من رجل له باع طويل فى العلم تورط ولده فى فتنة "ابن المعتز" ألا وهو "يوسف[٣] بن يعقوب القاضى".

موقف الوزير من يوسف بن يعقوب:

أمسك "المقتدر" بزمام أمور دولته إثر إحقاق فتنة "ابن المعتز" . وأطلق العنان لوزيره وقائد شرطته فى تعقب من أثاروا الفتنة لإلقاء

---

(١) بالضم وتشديد الميم مدينة تقع بين "أصفهان" و"ساوة" وبين "قم" "وساوة" أثنا عشر فرسخاً. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع: ج٣، ص١١٢٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٩، النويرى: نهاية الأرب: ج٢٣، ص٣٠.

(٣) أبو محمد الأذرى، ولد بالبصرة سنة ثمانين ومائتين، تولى قضاء البصرة، "وواسط" ولى قضاء الجانب الشرقى من "بغداد"، وشهد له غير واحد بجودة الحفظ والثقة والعلم، توفى سنة سبع وتسعين ومائتين. الذهبى: العبر: ج١، ص٤٣٤، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب: ج٢، ص٢٢٧.

القبض عليهم وانفاذ مايقرر فى أمرهم، كان "أبو عمر يوسف[١] بن يعقوب" ممن طالتهم يد الدولة حين كانت تستأصل شأفة مثيرى فتنة "ابن المعتز"، فجزعت نفس القاضى "يوسف ين يعقوب" على والده فأم دار "ابن الفرات" وطفق يستعطف ويبكى بين يدى الوزير عارضاً بذل مالديه وولده من مال تطير الإفراج عنه، فقبل الوزير "ابن الفرات" شفاعة الوالد فى ولده، فاستصدر قراراً من الخليفة بالعفو عنه مقابل مائة ألف دينار يصادر عليها مع بقائه فى منزله لا يبرحه، فأدى "أبو يوسف" تسعين ألفاً، وتبين "لعلى بن الفرات" عجزه عن أداء مابقى من مبلغه فعفى عنه بما أدى من مال المصادرة[٢].

مما تقدم سيتبين لنا كيف أن "على بن الفرات" استطاع أن يلقى مراسى سفينة وزارته على شاطئ الأمان بعد ماكادت تعصف بها الأنواء فى فتنة "ابن المعتز" فنال مكانة كبيرة لدى الخليفة "المقتدر" وأولئك الذين يسيرونه ويتحكمون فى سياسته ممن عاشوا فى القصر سواء أكانوا من النساء أم من الرجال!!

---

(١) محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل الأزدى ولد بالبصرة سنة ثلاث وأربعين ومائتين، كان آية فى النجابة والذكاء، حفظ الحديث عن جده وهو ابنى أربع سنوات، تولى القضاء بمدينة المنصور فى خلافة المعتضد ثم ولى قضاء الجانب الشرقى ثم ولى منصب قاضى القضاة سنة سبع عشرة وثلاثمائة، له مجلس علم فى غاية الحسن فاق به علماء عصره، توفى فى رمضان سنة عشرين وثلاث مائة. الذهبى: العبر: ج٢، ص٩، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب: ج٢، ص٢٨٦.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٤.

فيذكر ابن مسكويه أن "المقتدر" لما استقر لـه الأمـر فـوض الأمـور إلى "أبـى الحسـن بـن الفـرات" فديرهـا كمـا يديرهـا الخلفـــاء وتفـــرغ "المقتدر" للذاته، وانصرف إلى مطارحة الندماء ومجالسة الغناء ومعاشـرة النساء؛ فغلب على الدولة الحريم والخدم(١)!!

ومع وزارة التفويض هذه وجدنا الوزير "ابن الفـرات" يضـرب لنـا المثل فى بذل السماحة والعفو والكرم للكافة حتى طـال هـذا كلـه مـن تبينت له إساءتهم وأنكروا فضله عليهم؛ يدلنا علـى ذلـك هـذا الموقـف الذى وقفه من "سـليمان بـن الحسـن بـن مخلـد(٢)"، فقـد كـان لـلرجل علائق طيبة بأسرة الفراتين إذ كانت بينه وبـين والـد بـن الفـرات مـودة ومحبة، فحرص "على" على إكرامه والبر به حـين استوى علـى كرسـى الوزارة؛ فولاه رياسة ديوان المجلس و لم يعلم المقتدر بمشـاركته فـى فتنـة "ابن المعتز". وعلى الرغم من ذلك، فإن "سـليمان قـد تـآمر علـى ذى الفضل عليه فطفق يعمل على استوزار أحمد بن محمـد بـن عبـد الحميـد"

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٣.

(٢) ابن الجراح أبو القاسم، ولى عدة ولايات في خلافة المقتـدر ثـم وزره سـنة ثمان عشرة وثلاثمائة فبقى فـى وزارتـه تلـك سنة وشـهرين وتسـع أيـام لا يتصرف خلالها فى توليـة أو عـزل دون الرجـوع لعلـى بـن عيسـى، تـولى الوزارة "للراضى با لله" سنة أربع وعشرين وثلاث مائـة فـأعفى منهـا بعـد عشرة أشهر وثلاثة أيام، تولى الـوزارة "للمعتـز بـا لله" أربـع أشـهر وثلاثـة عشر يوماً ثم عزل، كان كاتباً، سديداً، خبـيراً بـأحوال الدواويـن وقوانـين السياسـة، توفـى سنة اثنـين وثلاثـين وثـلاث مائـــة. الصفـدى: الوافـى بالوافيات: ج١٥، ص٣٦٢.

وكتب كتاباً إلى "المقتدر" أغراه فيه بالأمر وبين فيه أسباب نعمة "على بن الفرات" وممتلكاته، فوقع الكتاب من "سليمان" فى دار "ابن الفرات" حيث كان يصلى جماعة مع الوزير فلما وقف ابن الفرات على مافى الكتاب نفاه إلى واسط ثم عاد الوزير فعفى عنه وولاه الوظائف[١].

فكأن "ابن الفرات" يطبق بصورة عملية قول الله تعالى: ﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾.

على كل حال فإن "ابن الفرات" عد وزارته الأولى بداية لصفحة جديدة للرعية والعمال على حد سواء فأفاض العدل فى الرعية وأسقط الرسوم الجائرة عنهم وزاد فى عطاء بنى هاشم وسير الكتب لعمال الأقاليم تحمل أمر الخليفة إليهم برفع الظلم عن الناس وعدم إزهاقهم من أمرهم عسراً[٢].

أوصد "ابن الفرات" الأبواب أمام الواشين وأراد القضاء المبرم على ذيول فتنة "ابن المعتز"، وآية ذلك، أن الجند حين جاءوه بصناديق كانوا أخذوها من بيوت زعماء الفتنة فسأل عما فيها فقالوا له: جرائد تحمل

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٥، ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص٢٠.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٣، النويرى: نهاية الأرب: ج٢٣، ص٣١.

أسماء وتوقيعات من عادوك، فأمر بدفعها جميعاً فـي النـار وقـال: "وا لله لو فتحتها وقرأت مافيها، لفسدت نيات الناس كلهم علينا واستشـعروا الخوف منا، ومع فعلنا مافعلناه، طوينا الأمور بهـذا، فهـدأت القلـوب، واطمأنت النفوس[١] فلما أزمع "ابـن الفـرات" علـى مـاأزمع عليـه مـن العفو العام عن من أثاروا الفتنـة سـار إلى "المقتـدر" فـأعلمهم أنـه متـى عاقب جميع من دخل فى أمر "ابن المعتز" فسدت النيات وكنز الخـوارج ومن يخشى على نفسه؛ فيطلبون الحيل للخلاص بإفساد المملكة[٢].

وإذا كنا قد ألمعنا إلى الجهود التى بذلها "على بـن الفـرات" لتـأمين جبهته الداخلية فى حاضرة الدولة العباسـية فـلا يسـعنا إلا أن نلمـع إلى مواقف الوزير من المنتفضين على سلطان الدولة فى بـلاد فـارس؛ حتـى نتبين من هذه المواقف الداخلية والخارجية خلال فترات وزارتـه الثـلاث ماللوزير وماعليه.

موقف "ابن الفرات" من المنتقضين على الدولة فى بلاد فارس:

كان على "بن الحسن على بن الفرات" الوقوف فـى وجـه أطمـاع الزعماء فى بلاد فارس الذين أرادوا الخروج على الدولـة والتلاكـؤ فـى إرسال الأموال إلى الحاضرة. ممـا يـترتب عليـه مـالا يخفـى علـى دارس تاريخ تلك الفترة من الفتن والثورات. ومـن هـؤلاء "علـى بـن الليـث"

(١) التنوخى: نشوار المحاضرة: ج٥، ص٧٣، ص٧٤.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٤.

الصاوى الذى دخل فى نزاع مع "سبكرى" من أجل زيادة أملاك إمارته غير مبال بسلطة الخلافة وهيبتها. وكان "سبكرى" يدين بالطاعة إذ ذاك للخلافة العباسية، فلما علم المقتدر بذلك أمر وزيره "ابن الفرات"بأن يتخذ مايلزم فى سبيل إعادة الأمور إلى ماكانت عليه ببلاد فارس وتدعيم السلطة المركزية فى تلك الأقاليم.

وجه "ابن الفرات" مؤنسا الخادم" على رأس جيش لمعارضة "السبكرى" فى مجابهته "لعلى بن الليث الصفارى" فيتجمع جيش الخلافة وجيش "السبكرى" عند "أرجان(١)".

فلما علم "على" باجتماع الجيشين سار إليهم، غير أن الظروف لم تمشى فى ركابه: فبينما هو كذلك، جاءته الأنباء بأن "الحسين بن حمدان" قد سار بجيشه ليأخذ بعض أملاك إمارته حتى يعاون جيش الخلافة الذى خرج لمجابهة "على الصفارى" فبعث من يحفظ له "شيراز(٢)".

---

(١) مدينة فارسية قديمة تقع على مقربة من الخليج العربى يفصلها عن الأهواز سبعة وثلاثون ميلاً، وقد يطلق عليها أسم أرغان. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى: ج١، ص٦٣، عبد السلام الترمانينى: أزمنة التاريخ الإسلامى: ج٢، ق٤، ص١٠١٥.

(٢) مدينة إيرانية تقع فى الجنوب الغربى. بينها وبين الخليج العربى ١٣٠م لعبت دوراً سياسياً واقتصادياً هاماً منذ القدم حتى العصر الحاضر. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع: ج٢، ق٤، ص١٠٥٩.

سار "على" بجيشه عبر طريق غير ممهد فلحق الجيش ما لحق من الأعياء، فلما وصل وجد جيش الدولة العباسية فى انتظاره فقاتله وألحق الهزيمة به وأخذ "على الصفارى" أسيراً إلى بغداد[١].

وإذا كان "ابن الفرات" قد نجح فى كبح جماح أطماع "على بن الليث" بتمكنه من أسره وإدخاله "بغداد" ليلاً وحفظ "للسبكرى" سلطاته؛ فإن هذا القائد لم يشأ أن ينعم بالاستقرار بعد تخلصه من أطماع "على بن الليث" فى ممتلكاته؛ إذا انتقض على سلطة الدولة هو الآخر، وكان سبباً فى حدوث خلاف كان له ماله من النتائج بين "مؤنس الخادم" و"على بن الفرات"، ذلك أن "السبكرى" قد جعل من نفسه أذناً للواشين الذين سعوا بكاتبه المخلص له وللخلافة معاً، "عبد الرحمن ابن جعفر"، فأخبروه أنه يكاتب الوزير سراً كى يأخذ بلاد فارس من "السبكرى"، فاستبدل به آخر، فشجعه فى الخروج على السلطة المركزية "ببغداد" فمنع المال عن الحضرة.

فلما علم "ابن الفرات" بما عليه أمر "السبكرى" كتب "ابن الفرات" إلى "مؤنس" كتاباً فيه: (إن كنت فتحت فقد أغلقت، وإن كنت قد أُسرت فقد أطلقت ولابد أن تعود وتحارب "سبكرى"[٢])، عاد "مؤنس" إلى الأهواز وأخذ "سبكرى" فى ملاطفته وسؤاله أن

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص٥٦.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٨.

يطلب من السلطان أعمال "فارس" و"كرمان[١]" على أن يدفع له زيادة على ماكان مقاطعاً عليه "القاسم بن عبد الله" فى أيام "المكتفى بالله"؛ فإنه كان مقاطعاً على أربعة آلاف ألف، ففعل "مؤنس" ذلك، وبذل عنه سبعة آلاف ألف فلم يرض بذلك "ابن الفرات"! ظل تبادل المراسلات بين الخلافة "وسبكرى" فى أمر تقلده بلاد فارس حتى بذل فى سبيل ذلك عشرة آلاف ألف، إلا أن "ابن الفرات" لم يرض إلا بثلاثة عشرة ألف ألف دينار يدفعها "سبكرى" فى كل عام للخلافة، واتهم "على ابن الفرات" "مؤنساً" بممالأته "سبكرى" وأرسل "محمد بن جعفر العبرتاى" ووصف على رأس جيش كبير استطاع إلحاق الهزيمة "بسبكرى" وكتب الرسائل للخليفة بالفتح! فخلع على وزيره "ابن الفرات" الخلع وولى الوزير "محمد بن جعفر" بلاد فارس[٢] لم يهنأ "محمد ابن جعفر" بولاية البلاد طويلاً؛ حيث وافته المنيّة فى عام ولايته سنة سبع وتسعين ومائتين[٣].

وعلى الرغم من النجاحات العظيمة التى حققها "ابن الفرات" فى الداخل والخارج خلال مدة وزارته الأولى، إلا أن العصر الذى استوزره

---

(١) بالفتح ثم السكون وآخره نون وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة، تقع جنوب بلاد إيران على بحر العرب بين فارس فى الشرق ومكران فى المغرب وسجستان وخراسان فى الشمال. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع: ج٣، ص١١٦٠، عبد السلام الترمانينى: أزمنة التاريخ الإسلامى: ج٢، ق٤، ص١٠٧٦.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٩.

(٣) عبد الملك الهمزانى: التكملة: ص١٩٧.

فيه كان عصراً مليء بالوشايات سريع التقلبات! ومن ثم تجمعت عدة أسباب عملت بخلعه من منصب الوزارة!

إقالة على بن الفرات عن وزارته الأولى:

لما رأى الخليفة أن العامة قد قاموا فى "بغداد" بالنهب وعاثوا فيها فساداً وتجرءوا على الوزير؛ فنهبوا داره وسلبوه متاعه و لم يرعوا حرمة دور حريمه، وظهر له عجز وزيره فى إخماد تلك الثورات؛ غضب غضباً شديداً! زاد منه، ماراج على ألسنة الناس فى "بغداد"، من أن الوزير كاتب الأعراب ليقوموا بنهب البلاد! ليس هذا فحسب؛ بل إن عجز "مؤنس الخادم" قائد الشرطة عن ضبط الأمن وإغراء الخليفة بمال يحصل له إن عزل الوزير "ابن الفرات" وولى مكانه "أبا على محمد بن عبيد الله بن يحيى الخاقانى": كل ذلك أدى إلى إقالته عن وزارته فى ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين.

وقبل أن تولى الوجوه شطر قضية أخرى من قضايا بحثنا يحسن بنا الوقوف وقفة متأنية مع "على بن الفرات" فى وزارته الأولى؛ لنقيم وزارته تقييماً منصفاً لا يتحكم فيه هوى من الأهواء.

فنقول: لقد وجدنا الوزير يحسن الإمساك بزمام أمور دولة أعلت العصبية الجنسية بل الشعوبية فيها مصلحتها الذاتية على كل ماعداها!!. فنال الزعماء الخارجون وطلاب السلطة من هيبة الخلافة مانالوا، ولقد سلفنا فى حديثنا ماكان من أمر فتنة "ابن المعتز" و"سبكرى"، ولا مراء

فى أن رجلاً "كعلى بن الفرات" استطاع تأليف الشاردين وجعلهم من العاملين لصالح الخلافة كما كان من أمره مع "الحسين بن حمدان" وكبح جماح المعارضين مثلما فعل "بعلى الصفارى" و"سبكرى"، لهو رجلاً يوضع فى صدر رجالات السياسة فى عصره إن لم يكن زعيماً لهم!

ولا عبرة عندى لما زعمه بعض المؤرخين من اتهام "ابن الفرات" بإتلاف أموال الدولة فى وزارته الأولى بإنفاقه لها على هذا وذاك دون ضابط، ومن ثم، فقد أفقر الدولة[١]، لأن "ابن الفرات" فعل مافعل وهو يعرف موضع قدميه، وله فى هذا أسوة حسنة برسول الله ﷺ حيث أعطى المؤلفة قلوبهم نصيباً كبيراً من الغنائم فى غزوة حنين ميزهم به عن غيرهم من السابقين فى الإسلام؛ لتتألف القلوب، وإن كان "ابن الفرات" قد فعل ذلك مع القادة الخارجين ومن كان من الثائرين للسبب الذى ذكرناه؛ فإنه يوسع على العامة وغيرهم؛ حتى يحمدوا عهد خليفته الذى استوزره، وتلك التوسعة لم تؤد إلى إفقار الدولة! فى حين أن الذين أحاطوا بالخليفة وعاشوا معه فى قصره كنزوا الأموال التى أخذوها من الدولة وازداد نهمهم إليها، فغالوا فى تحصيلها عن طريق السعايات لطلاب المناصب حتى يولوها، وحيث إن "المقتدر" لم يكن قد بلغ السادس عشرة سنة من عمره؛ فإنه كان يخضع بسرعة لرغبات هؤلاء وأولئك!! وماوزارة الخاقانى التى ألمعنا إلى سببها -ونحن نبين الأسباب التى أدت إلى إقالة "ابن الفرات"- عنا ببعيده!

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٣.

يضاف إلى هذا كله أن "ابن الفرات" كان فى بحبوحة من عيشه قبل اعتلائه كرس الوزارة، وكان يبذل المال لذوى الحاجات دون أن يخشى من ذى العرش إقلالاً!! فهو إذاً حين أعطى العامة بعض الأموال كان عطاؤه سجية قبه، أحبه بسببها الكثيرون، وما ذمه إلى الحاسدون الذين ودوا لو أنهم نالوا مثل ما نال من رفعة المكانة وحسن السياسة!!.

ولسوف نلمع فيما يلى من بحثنا إلى أقوال قالها قرناء "ابن الفرات" عنه تؤيد أنه كان نبيهاً بينهم مضرب الأمثال فى حسن تدبيره؛ ومن ثم حسده الحاسدون.

ابن الفرات بين وزارتين:

ظل "ابن الفرات" بعيداً عن منصب الوزارة مدة قد تصل إلى أربع سنوات، نال فيها "آل الفرات" ومن لاذ بهم وحظى بودهم ونعم بمجلسهم من التعذيب والمصادرة ماأشاب النواصى!! فإن "الخاقانى" الوزير ألقى القبض على من كان ظاهراً منهم، وطفق يبحث عن من أخفى نفسه عن أعين السلطة لينكل به!!

وكل "الخاقانى" "أبا الحسن أحمد بن يحيى بن أبى البغل" فى مناظرة "ابن الفرات" ومصادرته فعامله معاملة خلت من الإيذاء[١].

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٢١.

ويلوح لنا أن هذه المعاملة لم ترض "الخاقانى"؛ فاستدع "أبا الهيثم العباس[١] ابن ثوابة" فأمره بمناظرة "ابن الفرات" ثانيةً.

وجد ابن "ثوابة" فى مناظرته "لابن الفرات" فرصة يشفى بها غيظه من الوزير السابق؛ فتناول "ابن الفرات" بألسنة حداد، تحمل فيما تحمل السباب وأبشع الألفاظ، وأغرى "ابن ثوابة" به "المقتدر" بمال يحصِّل له لو بسط يده فى تعذيب "ابن الفرات" فوافقه الخليفة على ذلك، فنكل به "ابن ثوابة" أشد تنكيل!! فرق له "بدر الأعجمى" خادم "المقتدر" فرفع إلى الخليفة ماعليه "ابن الفرات" من تعذيب وذل، فأمر بأخذه من "ابن ثوابة" وإقامته فى دار "زيدان[٢] القهرمانة[٣]"، فناله من الإكرام الشىء العظيم.

أما أمير المؤمنين "المقتدر بالله"، فإنه وجد الأمور فى دولته تدبَّر على غير ماكانت تدبر عليه من الحكمة والحنكة والكياسة؛ مثلما

---

(١) الأنبارى الكاتب، عرف بين الوزراء بالسعايا اعتقله "على بن عيسى فى وزارته فتوفى فى محبسه، إذا ماذكر اسمه، كان الظلم له قريناً!. التنوخى: نشوار المحاضرة: ج٥، ص٥٠، ح٥.

(٢) لها حجرات خاصة بالقصر تعرف عند مؤرخى العصر بدار زيدان القهرمانة تدير منها شئون الحرم الخاصة يحبس فيها وجهاء الدولة والوزراء حبس فيها "الحسين بن حمدان" ثم "على بن عيسى". كانت تميل "لابن الفرات" وتطلعه على أمور القصر خلسة. التنوخى: نشوار المحاضرة: ج٥. ص٥٤، ح١.

(٣) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٢٢، ص٢٣.

كانت أيام وزارة "ابن الفرات" الأولى! ومن ثم، فإنه كان يعرض عليه وهو بحجرة "زيدان" مطالعات العمال وغير ذلك[١].

وعلى كل حال فقد أفسد "الخاقانى" ماكان أصلحه سلفه؛ فأطلق العنان لولده وصرف "الخاقانى" جُل همه لخدمة الخليفة وأهله تاركاً إدارة الدولة فى يد رجال غير أكفاء أصغر من النهوض بالمهام التى ألقاها على عواتقهم وكانت كتب الأقاليم تأتى فتخزن وقتاً طويلاً لا يدرى مافيها وأطال "الخاقانى" يد والده فأمت بابه العامة وتركت باب الخليفة!!

والذى يدلك على فساد الأحوال فى وزارته أنه قلد فى أسبوع واحد الكورة عدة من العمال حتى قيل إنه قد قلد أعمال ماء الكوفة فى مدة عشرين يوماً سبعة من العمال واجتعوا فى خان بحلوان وقلد أعمال قردى ويذيدى[٢] خمسة من العمال اجتمعوا فى خان بعكبرا[٣] فى يوم واحد.

وسبب ذلك ارتفاق أولاده وكتابه من العمال الذين يولونهم فسطرت الأحاديث وحفظ له النوادر التى منها ماعرف به الوزير

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص٦٥.

(٢) بالفتح ثم الكسر الذال معجمة: من قرى بغداد بنهر الملك، والناس يقولونها. عبد الحق مراصد الاطلاع: ج١، ص١٩٤.

(٣) بضم أوله وسكون ثانيه وفتح الباء الموحدة تمد وتقصر بلبدة من ناحية دحيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع: ج٢، ص٩٥٣.

"الخاقانى" بلقب "دق صدره"، ذلك أنه إذا ماطلب من طالب حاجة دق صدره فقال (نعم وكرامة[١]).

ومما زاد الطيْن بلة فى عهد تلك الوزارة: أن الجند وغيرهم من طلاب العطاء ثاروا يطلبون متأخراتهم، فلما طلب الخليفة وزيره بالوفاء برواتبهم أبدى عجزاً واعتذر بقلة المال! فأخرج الخليفة مالاً من بيت مال الخاصة وفرقه ليخْمد به تلك المشاغبات!! كل هذا "وابن الفرات" ليس بعيداً عن مجريات أمور الدولة؛ فإن "المقتدر" كان يشاوره كما سلفنا.

ولقد قارن الخليفة بين ماكانت عليه الدولة أثناء وزارته الأولى وبين ماآلت إليه الأمور خلال وزارة "الخاقانى" من التدهور، على الرغم من قصر المدة التى مضت على استوزاره له؛ فرأى ضرورة استدال آخر "بالخاقانى" فأدنى "مؤنساً" إليه؛ ليشاوره فى الأمر، فعرض الخليفة عليه الاستعانة من جديد "بابن الفرات" فى منصب الوزارة.

لم يكن "مؤنس" مخلصاً فى نصيحته لخليفته، فوضع نصب عينيه ماكان من خلافات بينه وبين "ابن الفرات" أثناء إخماد الوزير للفتن ببلاد فارس؛ فقد اتهمه "ابن الفرات" خلالها بممالائة "سبكرى"، وتفضيل المصلحة الشخصية على حساب مصلحة الدولة، فأسر "مؤنس" ذلك كله فى نفسه على "ابن الفرات"؛ ومن ثم، قال للخليفة

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٢٣، ص٢٤.

(متى أعدته ظن الناس أنك إنما قبضت عليه شرهاً فـي مالـه؛ والمصلحـة أن تستدعى "على بن عيسى" من "مكـة" وتجعلـه وزيـراً، فهـو الكـافى الثقة الصحيح العمل المتين الدين[١].

ولأن "المقتدر" صغير السن لم يـدرك مـاوراء نصيحـة "مؤنـس" لـه أخذ برايه وأنشأ يعمل على عزل "الخاقانى" من وزارته وتقليدها "لعلـى بن عيسى[٢].

لما آلت الوزارة "لعلى بن عيسى" ساس أمور الدولة سياسة عظيمة فلم يلجأ إلى إرهاق الرعيـة مـن أمرهـا عسـراً، وعـامل "بنـى الفـرات" معاملة فيها مافيها من الاحترام والإجلال و لم يتبع أصدقاء لابن الفـرات بالمصادرة .. كمـا جـرت عـادة العصـر[٣]!! استـمر "علـى" يديـر أمـر الوزارة إلى ذى الحجة سنة أربع وثلاثمائة للهجرة فـأمر "المقتـدر" بعزلـه عنها[٤] لأسباب ذكرها المؤرخون.

منها: غضب "أم موسى القهرمانة" على الوزير؛ فقد أمت داره فى ذى الحجة من العام المذكور لتشاوره فيما يـلزم دار الخاصـة وماتحتاجـه من أمور، لتدبير مال ينفق منه عليها فحال الحجاب بينهـا وبـين لقائـه؛

---

(١) ابـن مسـكويه: تجارب الأمـم: ج١، ص٢٤، ابـن الأثـير: الكـامل: ج٨، ص٦٨.

(٢) عبد الملك الهمزانى: التكملة: ص٢٠٢.

(٣) النويرى: نهاية الأرب: ج٢٣، ص٤٣ - ص٤٤.

(٤) المسعودى: مروج الذهب: ج٤، ص٣٠٥.

وعللوا ذلك لها بنومه! فسارت غاضبة إلى "المقتدر" وطالبته بعزله، فاستجاب لها. ولقد أدرك "على بن عيسى" عظم الخطب الذى نزل به بسبب خطأ تصرف حجابه؛ فحاول إرضاءها فما وجد إلى ذلك سبيلاً[١]!!

ومنها: أن "ابن فرجوبة" طفق يسعى لإعادة "ابن الفرات" مرة ثانية للوزارة مهتبلاً غياب "مؤنس" عن الحضرة لقتال العبيديين الذين هاجموا مصر فكتب الرقاع إلى الخليفة فيها: أن "ابن الفرات" لو أعيد إلى الوزارة يضمن مالاً قدره خمسه وأربعين ألف دينار فى كل شهر من أشهر الأهلة.

لما وقف "نصر الحاجب[٢]" و"غريب الخال" على سعايات "ابن فرجوية"، حاولا قدر جهدهما الدفاع عن "على بن عيسى" فأخفقا فى تحقيق غايتهما! لأن "المقتدر" حين عرض رقاع "ابن فرجوية" على "ابن الفرات" أقر له بأنه يمكنه الوفاء بذلك المال عن كل شهر إذا مااستوزره الخليفة[٣].

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص٩٨.

(٢) حجب المقتدر با لله وتقدم عنده وكان ديناً عاقلاً وخرج إلى لقاء القرامطة محتسباً فأنفق من ماله ألف دينار إلى ماأعطاه السلطان فاعتل فى الطريق ومات سنة ست عشر وثلثمائة. ابن الجوزى: المنتظم: ج١٣، ص٢٧٨.

(٣) التنوخى: نشوار المحاضرة: ج٦، ص٧٧٣، ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٤٣، ص٤٤.

لما كـان بـالقصر أنصـار "لعلـى بـن عيسـى" وآخـرون "لعلـى بـن الفرات" فإن الطائفتين كانتا تترقبان بعضهم بعضاً ، فنقل أتبـاع الوزيـر "بن عيسى" إليه أمر سعايات أنصـار "علـى بـن الفـرت" لـدى الخليفـة بإعادته إلى الوزارة، فتوجه "على بـن عيسـى" إلى أمـير المؤمنـين يطلـب إعفاءه من وزارته فطمأنه وأعلمه أن شيئاً من ذلك غير واقع، وأنه حـل ثقة أمير المؤمنين فانصرف "على بن عيسى" عن دار الخلافة وقد سـكت فؤاده واطمأنت نفسه علـى منصبـه فـى الـوزارة! وممـا زاد فـى طمأنتـه وجعل أصابعه فى أذنيه عـن مثـل هـذه الأقـوال؛ ماأشـاعه. فـى قصـر الخلافة عن موت "ابن الفرات".

فقد اتفق أن خارجيـاً مـن محبوسـى الخلافـة قـد انشـبت المنيَّـة فيـه أظفارها فجهزُه وحملُهُ إلى المقبريـة علىأنـه "علـى بـن الفـرات"، وكـان "على بن عيسى" ممن صلـى عليـه وقـال فـى حقـه: لقـد مـاتت صناعـة الكتابة اليوم!! وحين علم "علـى بـن عيسـى" مـن النـاس أن "علـى بـن الفرات" مايزال حياً سقط فى يده وقال: لا ينبغى للإنسان[١] أن يقـول كُل مايسمع!! يريـد بذلـك تكذيـب الشـائعة التـى يعـرف هـو حقيقـة أمرها؛ حتى لا ينفض من حوله أنصاره، وفى الوقت نفسه يجعـل بعـض أتباع "ابن الفرات" فى ريبة من أمر صاحبهم!! أهو حى أم ميت؟!!

ويتبين لنا من خلال تلك الحادثة الطريفة مدى قلـق "ابـن عيسـى" من مزاحمة "ابن الفرات" له فى منصـب الـوزارة، ومـدى عِظـم إعمـال التعمية من قبل جماعة على أخرى مـن الجماعـات التىتعـين فـى القصـر

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٤٠.

حتى تتحقق المآرب الشخصية وماأكثرها فى تلك الحقبة من حقب تاريخ الدولة العباسية!!

وعلى كل حال، فإن الخليفة بعد أن استقر رأيه على إعادة "ابن الفرات" للوزارة مرة ثانية أمر بإلقاء القبض على "على بن عيسى" فى يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة أربع وثلثمائة[١].

على بن الفرات فى وزارته الثانية:

أمر الخليفة "المقتدر" أبا الحسن "محمد بن جعفر بن ثوابة" بكتابة مرسوم الخلافة للقاضى بإعادة "ابن الفرات" للوزارة ولأن هذا المرسوم يعد وثيقة هامة لمن يؤرخ لبنى الفرات؛ فإننا نورد منه ماذكره ابن مسكويه، وفيه (ولما لم يجد أمير المؤمنين غنى عنه ولا للملك بداً منه، وكان كُتاب الدواوين على اختلاف أقدارهم وتعاون مابين أخطارهم مقرين برياسته معترفين بكفايته متحاكمين إليه إذا اختلفوا، واقفين عند غايته إذا استبقوا، مذعنين بأنه الحول القلوب المحنك المجرب العالم بدرة المال كيف تحلب وجوهه كيف تطلب انتضاه من غمده فعاد ماعرف من حده فنفذ الأعمال كأن لم يغب، عنها، ودبروا الأمور كأن لم يخل منها ورأى أمير المؤمنين ألا يدع سبباً من أسباب التكرمة كان قديماً جعله له إلا وفاه إياه، ولا نوعاً من أنواع المثوبة والجزاء كان أخره عنه إلا حياه به وآناه فخاطبه بالتكنية وكان وكان[٢]!!

---

(١) المسعودى: مروج الذهب: ج٤، ص٣٠٥، عريب بن سعد: الصلة: ص٥٩.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٤٢.

يتضح لنا من خلال ماأوردناه من فقرات تضمنها كتاب التولية مدى مكانة "ابن الفرات" بين من زاملوه فى صناعته! واعترف أمير المؤمنين له بأياديه البيضاء فى إدراته لوزارته فى المرة الأولى؛ ومن ثم فإن أمير المؤمنين حين استقبله ليوليه الوزارة فى يوم الاثنين لثمان خلون من ذى الحجة سنة أربع وثلثمائة.

وخلع عليه سبع خلع[١] وحمل إليه ثلثمائة ألف درهم لغلمانه، وخمسون بغلاً لثقله، وعشرون خادماً، وغير ذلك من العدد والآلات.

وحمل على دابته بسرجه ولجامه فجلس فى دار "بالمخرم[٢] المعروفة" بدار "سليمان بن وهب"، وردت عليه أكثر ضياعه التى كانت قبضت منه عند السخط عليه.

---

(١) ثوب أو نحوه يمنحه الخليفة أو السلطان إلى المقربين: له عنواناً على رضاه وكانت تشمل الخلعة عادة جبة مطرزة وعمامة وطيلساناً وسيفاً، ومنح الخلع من التقاليد التى عرفت عن الخلفاء والسلاطين تمنح الخلع من الخلفاء للوزراء عندما يولونهم المنصب، و لم تكن الخلع التى تمنح من الخلافة على درجة واحدة؛ فالتى تمنح للوزراء، أعلى قدراً وأكثر نضارة من تلك التى تعطى منهم للقضاة والفقهاء فى المناسبات والأعياد. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى: ج٢، ص٢٧٢.

(٢) بالضم ثم الفتح وكسر الراء مع تشديدها: محله كانت "بغداد" بين "الرصافة" ونهر معلى وفيها كان الدار التى تسكنها السلاطين خلف الجامع المعروف بجامع السلطان، خربها "الإمام الناصر". منسوبة إلى مخرم بن يزيد بن شريح، كان منزله فى أيام نزول العرب السواد فى بدء

ولما كان وقت التولية فى الصيف وشديد الحرارة فسقى الوزير فى داره المحتفين به أربعين ألف رطل ثلج وبدأ ثمن القراطيس فى الإزدياد وكذا الشمع؛ لكثرة استعمال الوزير لهما حين كان فى الوزارة الأولى فعد الناس ذلك من فضائله(١).

على كل حال فإن وزارة "ابن الفرات" الثانية كان نعمة على أصدقائه ونقمة على أعدائه، فالأول، طفقوا يتنفسون الصعداء بعد ماكانوا يعدون على أنفسهم أنفاسهم فى الشهيق والزفير؛ يتوقعون فى كل لحظة تمر عليهم المصادرة أو إنزال العقاب الأليم بهم؛ نتيجة علاقتهم "بابن الفرات"، ومن ثم فإنه يحسن بنا الإلماع إلى موقف "بنى الفرات" من هؤلاء وأولئك، لنستطيع من خلال تلك الإشارة الوقوف على ماهية شخصية "على بن الفرات" من الناحيتين الإنسانية والإدارية.

موقفه من على بن مقلة:

مرت العلائق بين "ابن الفرات" وبين "على بن مقلة" بمرحلتين أولهما: مانستطيع تسميتها بمرحلة الوفاء وإجزال العطاء، وثانيهما: نسميها بمرحلة البغض والمنافرة.

الإسلام، قيل إنه كان إقطاعاً له من عمر بن الخطاب. عبد الحق: مراصد الاطلاع: ج٣، ص١٢٣٩.

(١) عريب سعد: الصلة: ج٩٥، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ص٤٢٢، الذهبى: سير أعلام النُبلاء: ج١٤، ص٤٧٧.

فأما مايتعلق بالأولى: فهو أن "ابن مقلة" حين كان "ابـن الفـرات" يلى أمر ورارته الأولى: كان "ابن مقلة" لـه السـاعد الأيمـن، فلمـا ألقـى المقتـدر" القبـض علـى "ابـن الفـرات" عندمـا عزلـه عـن وزارتـه الأولى استطاع "ابن مقلة" النجاه بنفسه باستخفائه عن أعين الرقباء والطـالبين له بمصادرته وتعذيبه، حتى آل أمر الوزارة من جديد "لعلى بن الفـرات" عاد إلى الظهور بعد اخفائه، وإلى العيش مرة أخرى فـى الأضـواء ينعـم بحياة الأعزاء، ليدبر أمر الوزير "ابن الفرات" من جديد[(١)]!!

وبالنسبة للمرحلة الثانيـة: فـإن المؤرخـين يذكـرون أن سـبب تغـير الأحوال بين "ابن مقلة" و"ابن الفـرات" يعـود إلى أن الوزيـر قلـد "ابـن مقلة" الكتابة لنصر الحاجب فى حين استمدهم هو عوضـاً عنـه "سـعيد ابن إبراهيم التسترى[(٢)]" فأثار ذلك الأمر حفيظة "ابن مقلة" الـذى راح يكلم "نصر" عن "ابن الفرات" وأمواله التى يحصلهـا -علـى الرغـم مـن تكتبه فى وزارته الأولى- وقدرها خمسمائة ألف دينار.

اهتبل "نصر الحاجب" هذه الفرصة فأنشأ يغـرى "المقتـدر" بـأموال "ابن الفرات" التى مازال يملكها، فلما وصلت الأخبار للوزير عما فعلـه به كاتبه "ابن مقلة"، استبعد وقوع ذلك من صفيه وقال لابن عمه "أبـا

---

(١) عبد الملك الهمزانى: التكملة: ص٢١٠، ابن الأثير: الكـامل: ج٨، ص٩٩، النويرى: نهاية الأرب: ج٢٣، ص٤٤.

(٢) يكنى أبا الحسين كان نصرانياً من ضائع "بنى الفرات" غلبـت عليـه وعلـى أميه السجع فى الكتابة، له مؤلفات فى اللغة والتاريخ، لم يذكر لـه تـاريخ ميلاد ووفاة. الصفدى: الوافى بالوفيات: ج٥، ص١٩٥.

الخطاب": (إن شككت فى "أبى على بن مقلة" مع تربيتى له ونفعى منه شككت فى ولدى وفيك).

ومنذ ذلك الوقت أخذ "ابن مقلة" يتوجس خيفة من "ابن الفرات" فلم يجد ملازاً يأوى إليه حتى يمنعه من بطش "ابن الفرات" سوى "نصر الحاجب[1]".

ولا نجد كثير عناء إذ ماأردنا تبرير موقف "نصر الحاجب" من "ابن الفرات" وقبوله مؤازرة "ابن مقلة" الكاتب حين أراد النيل من وزيره؛ ذلك أن "نصراً" لم يكن بينه وبين "ابن الفرات" من الود مثلما كان بين الوزير وغيره من رجالات القصر، ومن ثم فعل مافعل من إيغار صدر "المقتدر" على "ابن الفرات"؛ وآية ماقلناه؛ ماسبق لنا الإلماع إليه من محاولة "نصر الحاجب" إجهاض مسعى "ابن فرجويه" لإعادة "ابن الفرات" للوزارة من جديد على حساب "على بن عيسى".

على بن عيسى فى ظل وزارة بن الفرات الثانية:

لقد أومأنا فيما سلفنا من حديثنا إلى أن ("على بن عيسى" أحسن معاملة "آل الفرات" حين كان يلى الوزارة "للمقتدر" فلما عادت شمس "ابن الفرات" للشروق أمر بالقبض على أسباب "على بن عيسى" وأخوته وكتابه وجميع عماله بالسواد وبالمشرق والمغرب، وصادرهم

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٥٢، ص٥٣، عبد الملك الهمزانى: التكملة: ص٢١١.

سوى "أبى الحسين وأبى الحسن إبنى أبى البغل"، فإنه أقرهما على ماكانا يتوليانه من أعمال "أصبهان[١]" و"البصرة"، ليرضى بهذا "أم موسى[٢]" التى كانت تأبى إلحاق الأذى بهما لما لهم من مكانة رفيعة عندها.

لقد كشفنا اللثام فيما مضى من حديثنا عن قوة سلطانها حين كانت سبباً جوهرياً فى إقالة "على بن عيسى" من وزارته واستبدال "ابن الفرات" به فى سنة أربع وثلاثمائة.

ويلوح لنا أن "ابن الفرات" فعل مافعل "بعلى بن عيسى" وأسبابه لما بينهم من تنافس على منصب الوزارة.

والذى يدلك على أن هذا التنافس قد ملك على "ابن الفرات" نفسه وتحكم فى تصرفاته مع "على بن عيسى"، هذا الحوار الذى دار بين الوزير وبين كاتبه ومصطفاه:

---

(١) أطلق هذا الاسم قديماً على مدينة تقع على نهر ذندة ويطلق حديثاً على المنطقة الواقعة فى الغرب بين العراق ويزد وكاشبان فتحها المسلمون فى أواخر سنة ثلاث وعشرين هجرية على يد "عبد الله بن برقاء" وقيل "أبوموسى الأشعرى" وهو الراجح. البلاذرى: فتوح البلدان: ج٢، ص٣٨٣، أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى: ج١، ص١٢٤.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٤٢.

"منصور بن جبير[١]" وفيه قال "ابن الفرات" لكاتبه: أيما أكفأ أنا أم "على بن عيسى" فقال: الوزير أكفأ وأضبط قال: دعنى من هذا، قال: تؤمننى، قال: قد أمنتك، قال: "على بن عيسى"، إذا أحضر بين يدى الخليفة، فأراد أن يكتب سراً له، لم يحتج إلى غيره، وكتب هو، وسحا، وضم، فرط بيده وأنفذ العمل، وأنت لابد لك من زنجى (يريد معاوناً)، فيظهر الأمر باطلاع اثنين عليه، قال: فضلت على "علياً"، قلت: لا والله ياسيدى: ولكن يكون "على بن عيسى" كاتبك[٢].

إن من يمعن النظر فى هذا الحوار الذى أودرناه يستخلص منه حقيقة على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لسياسة "ابن الفرات" فى وزارته، وهى أن أمور الدولة التى كانت تستدعى السرية لتنفيذها وتدبيرها كانت تجرى الأحاديث عنها على ألسنة الرعية مما أسهم فى إفساد كثير من التدبيرات وهذا خطأ سياسى كبير، فإن مايسر جماعةً يغضب أخرى، وإرضاء جميع الناس غاية لا تدرك كما قضت بذلك سنة الحياة على أن المقارنة بين الوزير وبين تربه "على بن عيسى" لم تكن من الأمور التى انشغل بها "ابن الفرات" وحده، فإن كثيراً من العوام فى حاضرة الدولة العباسية وغيرها من المدن شغلتهم تلك المقارنة، وآية ذلك ماذكره "ابن الجوزى" من أن العامة عبروا عن رأيهم فى تعيين الخليفة "لابن الفرات" عوضاً عن "على بن عيسى".

---

(١) كان نصرانياً متحففاً بالوزير من مداومى الجلوس على مائدته وصله ابن الفرات بمال قدره مائه ألف دينار. التنوخى: نشوار المحاضرة: ج٣، ص٤٠، ح٣.

(٢) التنوخى: نشوار المحاضرة: ج٣، ص٤٠، ص٤١.

فقالوا: (والك[١] خد إليك أخذوا منا مصحفاً وأعطونا طنبوراً) فبلغ ذلك الخليفة فكان دلك سبب الإحسان إلى "على بن عيسى" إلى أن أخرجه من الجيش[٢].

فهذه العبارة التى جرت على ألسنة العامة لما عاد "ابن الفرت" إلى الوزارة فى "المرة الثانية" تدل على أن كفاءة الوزير المعزول "على بن عيسى" فى إدارة الأمور لم تكن تقل عن كفاءة "ابن الفرات" فعصفت السعايات والأهواء بالأول وجاءت بالثانى ومع هذا فإن حقبة خلافة "المقتدر" التى عاشت خلالها أسرة الفراتيين لم تعرف أكفأ من الرجلين "على بن الفرات" و"على بن عيسى" فى إدارة أمور الدولة بما للرجلين من محاسن وماعليهما من مأخذ.

وإذا كنا قد ألمعنا إلى ماكان من كيفية جلوس "ابن الفرات" على كرس الوزارة وعلاقته ببعض كبار دولته؛ فمن المفيد اتباع دلك بدكر شيء عن موقفه من "يوسف بن أبى الساج" الذى شق عصا الطاعة وحارب الخلافة العباسية فى فترة ولاية "ابن الفرات" الوزارة للمرة الثانية).

---

(١) كلمة تعنى فى لهجة البغدادين (ياويلى).

(٢) الجورى: المنتظم: ج١٣، ص١٦٦

تمرد "يوسف" على الحضرة وموقف "ابن الفرات" منه:

كان "يوسف بن أبى الساج" يلى أعمال "أرمنية[١]" و"أذربيجان[٢]" أثناء وزارة "ابن الفرات" الأولى، وظل على ولايته لهما وهو يداوم على سداد المال الذى ألزم نفسه بدفعه للحضرة العباسنية، إلى أن كان ماكان من خلع "على بن عيسى" من الوزارة وعودة "ابن الفرات" إليها مرة ثانية. رأى "ابن الساج" الاستفادة من ظروف التغير الوزارى الذى حدث فى الدولة العباسية. فأزمع على زيادة ممتلكاته على حساب العمال المتجاوزين له؛ فهاجم "الرى" وطرد عنها عاملها من قبل خلافة "أحمد بن صعلوك"، وزعم أن "على بن عيسى" قد أشخص إليه عهداً بولايته لها فلما أعلموا الخليفة "المتقدر" بزعم "ابن أبى الساج" أمر الوزير "ابن الفرات" بتحرى الأمر ومساءلة "على بن عيسى" فيه.

---

(١) إقليم جبلى يقع جنوب القوقاس ويطلق الاسم على منطقتين هما أرمنية الكبرى: وفيها خلاط ونواصيها، والصفرى وفيها تفليس ونواصيها. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى: ج١، ص٧٣، عبد السلام الترمانينى: الأزمنة: ج٢، ق٤، ص١٠١٥.

(٢) هى المنطقة التى تقع فى أقصى الجنوب الغربى من بحر قزوين (المخزر) ويتصل حدها من جهة الجنوب ببلاد الديلم، ومن الغرب والشمال بأرمنية، من مشهور مدنها بتريزمحوى، وسلماس، وأرمنية، وأردبيل، ومرندى، فتحها حذيفة بن اليمان أيام عمر بن الخطاب، ويقال: إن الذى فتحها المغيرة بن شعبة سنة ٢٢هـ. البلاذرى: فتوح البلدان: ج٢، ص٤٠٠، عبد السلام الترمانينى: الأزمنة: ج٢، ق٤، ص١٠١٤.

برهن الوزير المعزول "لابن الفرات" على كذب "ابن أبى الساج" فى ادعائه فأمر "المقتدر" بتحرير الجيوش لمحاربة "ابن أبى الساج" وجعل "خاقان المفلحى" قائداً عليها فالتقى بجيش "ابن أبى الساج" سنة خمس وثلثمائة فى معركة حامية الوطيس دارت فيها الدائرة على جنود الخلافة العباسية[١].

وأمام هذا الموقف أمر الخليفة "مؤنس الخادم" بالتوجه لمحاربة "ابن أبى الساج" فسار، وأتاه "أحمد بن على" وهو أخو "محمد بن على بن صعلوك" مستأمناً؛ فأكرمه "بمؤنس" ووصله وكتب "ابن أبى الساج" يسأل الرضى، وأن يقاطع على أعمال "الرى" ومايليها على سبعمائة ألف دينار لبيت المال، سوى مايحتاج إليه الجند وغيرهم، فلم يجبه "المقتدر" إلى ذلك، وقال: ولو بذل ملئ الأرض ذهباً لما أقررته على "الرى" يوماً واحداً؛ لإقدامه على التزوير[٢].

ومهما يكن من أمر فإن "ابن أبى الساج" اضطر لترك "الرى" والاكتفاء بما كان تحدت يده قبل تمرده هذا، وهنا نرى اختلافاً فى وجهات النظر بين معاونى الخليفة "المقتدر"؛ فمن قائل: بالاستجابة لطلب "ابن أبى الساج" حقناً للدماء وتوفيراً للأموال، ومن قائل: باستمرار محابهته ليكون عبرة لغيره وتبقى الدولة مهابة فى أعين نظرائه من العمال. ومثل "ابن الفرات" وجهة النظر الأولى، بينما كان "نصر الحاجب" و"ابن الحوارى" و"مؤنس" يمثلون وجهة النظر الثانية التى

(١) النويرى: نهاية الأرب: ج٢٣، ص٤٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٠١.

أخذ بها "المقتدر"؛ ومن ثم فتحت الأبواب أمام الثلاثة لاتهام "ابن الفرات" بممالأة "ابن أبى الساج"[١]، فكانت المسألة تصفية لحسابات قديمة بينهم وبين الوزير "ابن الفرات" أثناء وزارته الأولى.

ولم يقف "ابن الفرات" مكتوف الأيدى أمام تلك الاتهامات، فعادى "نصر الحاجب" و"أبا القاسم" و"ابن الحوارى" و"شفيع اللؤلؤى"، ومنعهم أكثر حوائجهم، وعزل من كان يلى الأعمال منهم عن بعض أعمالهم[٢].

على كل حال فإن قضية "ابن أبى الساج" وموقفه من الخلافة قد كانت سبباً من الأسباب التى أزالت "ابن الفرات" عن وزارته الثانية - كما سنبينه بعد ذلك-.

ظلت الدولة على مجابهتها "لابن أبى الساج" حتى تمكنت جيوش الدولة العباسية من هزيمته واعتقاله فى وزارة "حامد بن العباس" سنة سبع وثلثمائة[٣].

وعلى كل حال فإن "على بن الفرات" حرص على أن تظهر الدولة العباسية بمظهر القوة بين جيرانها، حتى تقع المهابة فى قلوبهم منها؛

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٤٦.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٥٢، ابن كثير: البداية والنهاية: ج١١،ص١٢٧٠.

(٣) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٤٨، ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٠٢

وآية ذلك مافعله "ابن الفرات" حين قدم إلى حاضرة الدولة للسفراء الروم.

الاستقبال الرسمى لوفد الروم:

اهتبل "ابن الفرات" فرصة وصول رسل الروم إلى مدينة المنصور فى الثالث من المحرم سنة خمس وثلاثمائة؛ فأقام لهم استقبالاً عظيماً أظهر فيه من القوة وهيبة الدولة وترفها الاقتصادى ماأدهش السفراء!! وهو بهذا العمل يكون قد سبق عصره فى مراسم برتوكولات استقبال وفود الدول الأجنبية العظمى.

أقام الوزير حفل استقبال للرسل مرتين، أولاهما: بداره وثانيهما: بدار الخلافة العباسية.

ولقد وصف لنا "ابن مسكويه" المؤرخ المعاصر استقبال "ابن الفرات" للوفد فى داره وصفاً دقيقاً يجعل قارئيه يعايشونه معايشة من رآه رأى العين؛ فقال: صف الورير الجيش من دار صاعد إلى الدار التى أقطعها بالمخرم، وأصدر أوامر أن يكون غلمانه وحدة وخلفاء الحجاب المرسومين بداره منتظمين، من باب الدار إلى موضع مجلسه، وبسط له فى مجلس عظيم مذُهبٌ السقوف فى مكان من داره يعرف بدار البستان، مفروشة بالفرش الفاخر العجيب وعُلِقّت الستور التى تشبه الفرش واستزاد فى الفرش وأبسط مبلغ مثمنة ثلاثين ألف دينار و لم يبق شىء تجمل به الدار ويفخم به الأمر إلا فعل، وجلس على مصلّى عظيم من ورائه مستند عالٍ والخدم، بين يديه وخلفه، وعن يمينه وشماله

والقـواد والأوليـاء قـد ملـؤوا الصحـن، ودخـل إليـه الوفـد المكـون مـن رسولين فشاهدا فى طريقهما من الجيش وكثرة الجمع ما هالهما!!.

ولما دخلا دار العامة أجلسـهم الحـاجب فـى رواقهـا والرجـال قـد امتلأت بهم الدار ثم أخذا فى ممـر طويـل مـن وراء هـذا الـرواق حتـى أخرجهما إلى صحن البستان ثم عدل بهما إلى المجلس الذى كان الوزير جالساً فيه فشاهدا من بهاء المجلس والفرش التى فيه وكثرة الجميع منظراً عجيباً جليلاً[١].

فكلم السفراء "أبا الحسن علـى بـن الفـرات" فـى أمـر الفـداء بـين المسلمين والروم فوعدهم الوزير بمخاطبة "المقتدر" فى ذلك، فخرج مـن عنده ومكث وقتاً من زمن حتى سمح لهم بلقاء الخليفـة "المقتـدر" الـذى أقنعه "ابن الفرات" لاستقبالهم لما يترتب علـى ذلـك مـن عظيـم الفوائـد التى تعود على الدولة[٢].

وعلـى غـرار مااستعدت بـه دار الوزيـر لاستقبال الرسـولين كـانت دار الخلافة هى الأخرى مستعدة استعداداً فاق ماكانت عليه دار الوزير مـن الأبهـة بالكثير الذى لم تقع عين الرسولين والوفد المرافق لهما على نظيره إلينا.

ولقد وصف المؤرخون الدار ومجلس الخليفة فى ذلك اليوم المهيب؛ فمما قالوه تقـدم الوزيـر إلى سـائر الأوليـاء والقـواد والجنـد بـالركوب فوقفوا فى الطريق إلى دار الخلافة.

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٥٣، ص٥٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٠٧.

وشحن الوزير الدار "والدهليز[(١)]" بالسلاح وفرش القصر بأفخم الفرش، فلما وصل الرسولان إلى الدار أخذ بهما فى ممر يفض إلى صحن من تلك الصحون ثم عدل بهما إلى ممر آخر، وأخرجا منه إلى صحن أوسع من الأول ولم لما يزل الحجاب يخترقون بهما فى الصحون والممرات حتى كلا من المشى وانبهروا.

وكانت تلك الصحون والممرات مشحوة بالغلمان والخدم إلى أن قربا من المجلس الذى فيه "المقتدر بالله" والأولياء وقوفوا على مراتبهم و"المقتدر" جالس على سرير ملكه و"أبو الحسن ابن الفرات" واقف بالقرب من "مؤنس الخادم" ومن دونه من الخدم وقوف عن يمينه ويساره فلما دخلا إلى المجلس قبلا الأرض ووقفا حيثُ استوقفهما "نصر الحاجب" وأديا إليه رسالة صاحبهما فى الفداء ورغبا إليه فى إيقاعه فأجابهما الوزير عنه بأنه يفعل ذلك رحمة للمسلمين ورغبة فى فكهم وإيثار الطاعة لله عز وجل[(٢)].

مما تقدم يتبين لنا أن الدولة كانت تُعمنا بالمظاهر وتنفق فيها الأموال ولو كان فى ذلك ممايؤدى إلى تأخير لأرزاق الجند وموظفيها مما زاد فى تعقيد الأوضاع وعدم استقرار الوزراء فى المنصب.

---

(١) الممر الذى بين باب الدار ووسطها ويسمى الآن بتعدد المجاز والقادة والأمراء فشمل على مجر عديدة برسم الخدم والاتباع والوكلاء والحرس والرحال وفيها مواضع للجلوس والطعام. التنوخى: نشوار المحاضرة: ج١، ص٣١٣، ح٢.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٥٥، عريب بن سعد: صلة تاريخ الطبرى: ص٦٢.

إقالة ابن الفرات من وزارته الثانية:

تدافرت عدة أسباب أدت إلى خلع "ابن الفرات" من وزارته والتى منها:

١- فتنة "ابن أبى الساج" فقد كلفت الدولة أموالاً طائلة انفقتها على جيوش جردتها له حتى تعيده للطاعة أو نقص على حركته القضاء المبرم، وهو ماكان و لم يقتصر الأمر على تجريد الجيوش إليه بل إن الرجل حين وثب على "الرى" وجب خراجها فى عشرة أيام، فأفقد الدولة مالاً كان يرد إلى بيت مالها من هذا الإقليم مما أدى إلى ندرة الأموال بها؛ ومن ثم ظهر للمجتمع عجز الوزير عن تدبير أمورها[١].

٢- ثورة الجند "ببغداد" نظراً لتأخر رواتبهم، فخرجوا إلى المصلى والتمس "ابن الفرات" من "المقتدر با لله" إطلاق مائتى ألف دينار من بيت مال الخاصة ليضيف إليها مائتى ألف دينار (تنفق على الفرسان فغلظ ذلك على "المقتدر" وأرسله بأنه قد كان ضمنً له أن يقوم بسائر النفقات على رسمه كان فى وزارته الأولى ويحمل ماضمن حمله إلى حضرته مفرداً وأنه لم يظن أنه يقدم عليه بطلب مال فاحتج "ابن الفرات" بما سلفناه من أمر "ابن أبى الساج" فلم يسمع له ومن ثم غضب عليه[٢] غضباً شديداً.

---

(١) عبد الملك الهمزانى: التكملة، ص٢١٣، ج٢١٣، الجوزى: المنتظم: ج١٣، ص١٧٩.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٥٦.

٣- ما أوعز به الواشون إلى الخليفة من أن "ابن الفرات" يريد إرسال "الحسين بن حمدان" لمحاربة "ابن أبى الساج" فإذا صار عنده أتفقا عليه وتوافق ذلك القول مع ماقاله "ابن الفرات" "للمقتدر" أن يأمر "الحسين بن حمدان" فى محاربة "ابن أبى الساج" فاستيقن الخليفة بسبب هذا من صحة ماحدثه الناس به(١). ولسنا نميل إلى صحة مانسب فى هذا السبب "لابن الفرات"؛ لأن الرجل لو كان يريد الغدر بخليفته المقتدر لانضم للثائرين فى فتنة "ابن المعتز" لكنه أثر السلام والنجاة بنفسه على ماعداهما من أشياء قد تبدو فى أعين الآخرين براقة، لأنهم لم يعرفوا لخطواتهم موضعاً صلباً من الأرض ليقفوا عليه، يضاف إلى هذا أن "ابن الفرات" كان يشغل فى ذلك الوقت منصب الوزارة وهو يحظى برضى أمير المؤمنين الذى كان يحقق له مايطلبه؛ فلم يبد اعتراضاً على مافعله "ابن الفرات" بـ"نصر الحاجب" و"شفيع اللؤلؤى" ومن كان معهم كما قلنا! إذا فما الداعى الذى يدعيه إلى خوض تلك المغامرة التى هى إلى المقامرة أقرب منها إلى أى شىء آخر، ومأحسب أن "ابن الفرات" من أولئك المقامرين لما وصف به من عقل راشد ورأى ثاقب كما شهد له بذلك قرناؤه ومنافسيه فى الدولة العباسية، والذى نكاد نراجحه فى هذه القضية أن الواشين حين علموا بما أزمع عليه "ابن الفرات" من مخاطبة "المقتدر" فى شأن الاستعانة "بالحسين بن حمدان" بادو (فقالوا ماقالوا للخليفة قبل أن يطلعه

---

(١) النويرى: نهاية الأرب: ج٢٣، ص٥٢.

"ابن الفرات" على رأيه الذى رأى فيه مصلحة الدولة، فإن "الحسين بن حمدان" كان من المعدودين فى ذلك الوقت من حيث القوة والمناعة فرمى "أبو الساج" به كان سيوفر أموالاً على الدولة لينفق منها على طلاب العطاء ومن ثم تنعم عاصمته بالاستقرار.

٤- وإن ننسى فلا ننسى -ونحن نتناول أسباب خلع الوزير "ابن الفرات" من وزارته الثانية- الإلماع إلى هذا السبب الذى كان بمثابة القاسم المشترك فى العزل والتولية لجُل الوزراء؛ ألا وهو إغراء الخليفة حاشيته بالمال الذى سيرد إليه إذا عزل وزيره وولى آخر.

فيعزى إلى هذا السبب عزل "ابن الفرات" عن وزارته الأولى؛ وهانحن أولاً نراه فى وزارته الثانية يعزل عنها بسبب ماذكرناه؛ ذلك، أن بعض العمال قد ذكر "لابن الفرات" مايتحصل "لحامد بن العباس" من أعمال "واسط" زيادة على ضمانه! فاستكثره وكاتبه فى ذلك؛ فخاف "حامد" أن يؤخذ ويطالب بالمال، فكتب إلى "نصر الحاجب" وإلى والدة "المقتدر" وضمن لهما مالاً، ليتحدثا له فى الوزارة، فذكر للمقتدر حاله وسعة نفسه وكثرة أتباعه، وأن له أربعمائة مملوك يحملون السلاح، فعرض عليه المال الذى سيأتى للحضرة إن هو ولاه الوزارة ووافق ذلك نفور "المقتدر" من "ابن الفرات" فأمره بإحضار "حامد" من "واسط" فحضر وقبض على "ابن الفرات" فى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثمائة(١).

---

(١) النويرى: نهاية الأرب: ج٢٣، ص٥١.

وإذا كنا قد عرضنا بالتقييم والتحليل لأعمال الوزير في وزارته الأولى فإنه يصبح لزاماً علينا القيام بمثل ذلك هنا بعد أن أشرنا إلى ماكان من أمر الدولة في وزارته الثانية حتى خلع من المنصب.

فنقول إن وزارته الثانية استغرقت وقتاً قصيراً بالنسبة للمدة التي قضاها في المنصب حين آل إليه أول مرة؛ وعليه، فإن الحكم على "ابن الفرات" أوله في وزارته الثانية سيكون أيسر سبيلاً من ذي قبل.

فـ"ابن الفرات" تولى الوزارة في هذه المرة طالباً وقد كان في سابقتها مطلوباً وهو بهذا يكون قد أفقد نفسه شيئاً على جانب كبير من الأهمية! وهو التعفف على المناصب حتى تأتيه بماله من مهارة وحس إدارة، لا بمال يبذله لهذا وذاك، ثمناً لكرسي الوزارة!! فهذا مآخذ يؤخذ على "ابن الفرات" ماكان أغناه عن الوقوع فيه وهو صاحب المواقف والنعوت التي سلفنا الحديث عنها في صفحات بحثنا!!

ويؤخذ على "ابن الفرات" في وزارته هذه، موقفه المتعنت من "علي بن عيسى"؛ فرد إحسانه إليه حين كان معزولاً بالإساءة لما تولى "ابن الفرات" الوزارة وهذا التغير في المنهج السياسي مع القرناء يخالف منهجه في العفو وبذل الكرم، مثلما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

يضاف إلى ما تقدم أن "ابن الفرات" لم يكن مصيباً في موقفه حيث أظهر العداوة لـ"نصر الحاجب" وشفيع "اللؤلؤي" و"مؤنس"، وكان من الممكن له تألفهم، وقد يلتمس له العذر في موقفه منهج،

على أساس أنه في موقفه منهم هذا لأنهم بدؤه بالسعايا ونالوا منه عند المقتدر فكان ماكان من أمره معهم.

بيد أن هذا الاعتذار غير صحيح فإن الوزير الذى خالط "المقتدر" وعرفه أدرك بثاقب عقله وحسن فهمه أن أمير المؤمنين لم تكن نظرته للأمور على وتيرة واحدة؛ إذ هو يسلم أُذنيه وعقله لندمائه وحاشية قصره ممن سلفنا ذكرهم؛ فمنهم: المحب لوزيره المادح له، ومنهم: القادح فيه الحاسد له على نعمائه، ودلل "ابن الفرات" على صدق نظرته هذه، فى "المقتدر" حين أخبر جلساءه وأصفياءه من الكتاب والمعاونين من أنه حدث أمير المؤمنين "المقتدر" ذات يوم فى أمر رجل يرى الوزير توليته الأعمال درءاً لإفساده وسبيلاً للدولة فى تحصيل أمواله فوافق، وبعد أن عرض "ابن الفرات" أموراً أخرى على أمير المؤمنين، عاد فقال "للمقتدر" قد قلبتُ أمر هذا الرجل؛ فإذا بى أرى الثواب فى عدم توليته، بل إلقاء القبض عليه واستصفاء أمواله ليكون عبرة لمن يعتبر، فوافق "المقتدر" فقال "ابن الفرات": لا آمن على حياتى مع رجل متقلب، فربما أوعز إليه الواعزون بقتلى فيقتلنى، أو بعزلى فيعزلنى ويصادرنى ويعتقلنى[١]!!.

ويتضح لنا من هذا الموقف مدى فهم "ابن الفرات" للظروف التى تتحكم فى تدبير الأمور بالدولة؛ فكان عليه التعامل معها إما بالتآلف، وإما باستئصال الشأفة، إن أيس من إصلاحهم ليدرأ عن نفسه وعن

---

(١) التنوخى: نشوار المحاضرة: ج٥، ص٦٩، ص٧٠، ص٧١.

الدولة خطرهم، وهذا ما لم يفعله "ابن الفرات"، فلم يربح من موقفه من "نصر" ومن ذكرنا معه حين منعهم بعض أعمالهم كما قلنا إلا إيغار الصدور والرحيل من الوزارة؛ فقد لعبوا دوراً كبيراً فى خلعه من وزارته الثانية!!

وإذا ما عرفنا أن "نصر الحاجب" ومن دار فى فلكه أنشأوا يعملون بعد عزل "ابن الفرات" من وزارته على إنزال المزيد من التنكيل والمصادرة به وبزويه، تبين لنا عظم الخطأ الذى وقع فيه بسبب موقفه منهم، وحتى تتجلى لنا هذه الحقيقة نلقى الضوء على حالة الوزير بعد عزله من وزارته الثانية.

ابن الفرات بين العزل والتولية:

لم يهنأ "على بن الفرات" بوزارته الثانية سوى عام وخمسة أشهر وسبعة عشر يوماً[(١)]، حُجب بعدها عن الأضواء وأصبح الوزير الجديد "حامد بن العباس" يدير أمور الدولة عوضاً عنه.

لم يكن اختيار الخليفة لوزيره هذه المرة موفقاً، إذ كا منذ حضوره إلى بغداد محط نقد المنتقدين الذين تبينوا من معاملتهم له منذ الوهلة الأولى عدم الكفاءة لمنصبه فسار الحاجب إلى "المقتدر" فقال له: ياأمير المؤمنين، (إن الوزير يحتاج إلى لبسة وجلسة وعبسة، فقال له: تعنى أنه يلبس ويقوم ويقعد ولا يقوم لأحد ولا يضحك فى وجه أحد؟ قال:

---

(١) النويرى: نهاية الأرب: ج٢٣، ص٥١.

نعم! قال: "حامد" إن الله تعالى أعطانى وجهاً طلقاً وخلقاً حسناً وماكنت بالذى أعبس وجهى وأقبح خلقى لأجل الوزارة(١).

وبالرغم من هذا التواضع الجم الذى تخلى به الوزير كما هو بين فى الحوار السابق بين الحاجب وأمير المؤمنين، فإن الخليفة أدرك خطأه فى اختياره لهذا المنصب فأمده "بعلى بن عيسى" ليكون بين يديه، فكان يحضر لدار الوارة ومعه الدواة وينظر فى الأعمال ويوقع، وكان "أبوعلى بن مقلة" ملازماً "لحامد" يكتب بين يديه ويوقع بحضرته كذلك "عبد الله محمد بن إسماعيل" المعروف بزنجى، وهو ممن كانوا يعاونون الوزير لينهض بعمل وزارته.

ومع هذا كله، فإن "على بن عيسى" جعل مكانة الوزير تتلاشى أمامهم وأشرق شمسه على حساب وزيره الذى رأى ترك الحضرة العباسية والجلوس فى ضمانه السابق(٢) قبل توليه الوزارة والذى يعنينا هنا هو بيان موقف الوزير "حامد بن العباس" من "على بن الفرات" بعد خلعه، فإن الوزير أجلس "ابن الفرات" للمناظرة ووجه إليه أبشع الألفاظ وهو يستخرج منه خطأً بالمال المطلوب مصادرته منه، وكان "ابن الفرات" يستقبل مثل هذه الألفاظ بسعة صدرٍ وحلم!! فلما وصل الأمر للمقتدر بأمر ذلك المجلس وماحدث فيه، حال بين حامد

---

(١) النويرى: نهاية الأرب: ج٢٣، ص٥٣.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم: ج١٣، ص١٨٠، الصفدى: ج١١، ص٢٧٦.

واستمرار مناظرته "لابن الفرات" الذى دفع طوعاً للمقتدر ماقدره ألف ألف وستمائة ألف دينار[١].

أثار هذا الموقف الذى وقفه "ابن الفرات" أعداءه فأنشأوا يتساءلون عن السبب الذى جعل "على بن الفرات" يؤدى المال طوعاً للخليفة، فقال "على بن عيسى" و"ابن الحوارى" "لحامد": أى شيء عندك فيما فعله "ابن الفرات"؟ فقال "حامد": هذا من إقبال مولانا أمير المؤمنين فقال له "على بن عيسى": هذا لاشك فيه كما قال الوزير أيده الله، ولكن ماأشك أن "ابن الفرات" مافعل هذا، حتى توثق بنفسه، ولا سمح بهذا المال العظيم بغير مكيدة، وقد كان يجوز أن يقع منه بعضه إلا لشروعه فى ضمان أنفسنا وأحوالنا. فقال "حامد" و"ابن الحوارى": هذا لاشك فيه[٢]، ولما كان الوزراء لا يقنعوا بمال المصادرات الذى وصل إليهم من أسلافهم، فإن "حامداً" حين علم من "على بن عيسى" وغيره أن "أبا زنبور[٣] عامل "مصر"، كان يمنح "ابن الفرات" شهرياً

---

(١) التنوخى: نشوار المحاضرة: ج٢، ص٣٢، ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١١٢.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٦٧.

(٣) الحسين بن أحمد بن الحسين بن عيسى بن رستم المادرانى أبو على الكاتب، لقب بأبى زنبور البغدادى، تولى الوزارة لأحمد بن طولون، عرف بين رحالات عصره بالعقل والحلم، تولى خراج مصر دفعات من قبل "المعتضد" و"المكتفى" و"المقتدر"، كتب الحديث فى العراق ومات فى خلافة الصفدى سنة أربع عشرة وثلاثمائة. الصابى: الوزراء: ص٥١ - ص٣٧٥، الصفدى: الوافى بالوفيات: ج١٢، ص٣٢١، ص٣٢٢.

عشرة آلاف دينار أثناء وزارته الثانية، عجل "حامد" باستدعاء عامل مصر إليه، فلما جاءه أجلسه بين يديه وظل به حتى كشف النقاب عن علاقته المالية "بابن الفرات" فأقر بالمال الذى كان يدفعه مشاهرة فأمر الوزير بعقد مجلس مناظرة ليجابه فيه "ابن الفرات" بما نسب إليه من أخذ مال إقليم "مصر بدون حق وكان "شفيع المقتدرى[١] وعدد من رجالات القصر يحبون: "ابن الفرات"، فلم علم بأمر "أبى زنبور" وما أزمع عليه "حامد بن العباس" و"على بن عيسى" التقى "المقتدر" أمير المؤمنين فأوعز إليه بأن يبعث من عنده رسولاً يحضر مجلس المناظرة ليدفع إليه مايكون فيها من مناقشات ومحاورات؛ حتى يكون على بينة بأمر من حوله من الوزراء ومعاونيهم، فراق الرأى "المقتدر" وأشخص "شفيعاً" إلى مجلس المناظرة ومنا نطالع "ابن الفرات" بعد ماستوى فى مكانه من المجلس يجيل عينيه فى الحضور ويفكر كيف يقيم الحجة على الذين كادوا له وتربصوا به فحاكو له المؤامرات ومنوا أنفسهم بالمزيد من المصادرات فبعد أن واجهه الوزير "حامد بن العباس" بالتهمة المنسوبة إليه، قال "ابن الفرات": إن هذا!! -وأومأ إلى "أبى زنبور"- إن كان قد أمر بالسعايا بوزير عمله، فإنه قد كشف عن غفلته وزمانه عقله وعقل من ركن إليه؛ بهو إن صدق فيما أخبر به؛ فإنى لم أكن لارتفق هذا منه لأدع له شيئاً من مال السلطان، ولا أمكنه من اقتطاعه؛ ولكن لأمهله من وقت لآخر.

---

(١) ابن عبد الله الخادم كان من الأعيان ولاه "المقتدر" الرحبة و"البصرة" وجمع له ماكان يتولاه "الحسين بن حمدان" فى رجب سنة ثلاث وثلثمائة وتوفى سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة. الصفدى: الوافى بالوفيات: ج١٦، ص١٧٠.

وقلما يرتفق الوزراء مع العمال قديماً وحديثاً، فهذا سبيله يمثله، وإنما صودرت على ألف ألف وستمائة ألف دينار أديتها صلحاً عن هذا ومثله وشبهه، وإلا فأى شىء كان موجب لمصادرتى إلى عن هذا وماشبهه؟ فالمصادرة قد غسلت عنى هذا كله، ولكن قد وجب على "أبى زنبور" من هذا الموقف باعترافه لمدة عطلتى وعزلى وهى ستة عشر شهراً مائة ألف وستون ألف دينار، فإن كان أرفق الوزير أعزه الله بها، فقد سقطت عنه، والكلام فيها بين الخليفة والوزير، وإذا كان لم يحملها له، فيجب الآن أن يحملها إلى أمير المؤمنين! فلما رفع "شفيع" الأمر إلى "المقتدر" أرسل إلى وزيره ألا يبرح أحدكم المكان حتى توفوا إلى مائة ألف وستين ألف دينار: فقال "على بن عيسى": جئنا لنصادره فصادرنا[١]!!.

صور لنا هذا الحوار الذى دار بين "على بن الفرات" ومناظريه كيف كان الوزير المعزول يجاهد ما وسعه الجهاد حتى ينفى عن نفسه سيلاً من التهم الموجهة إليه من قبل الذين حنقوا عليه حين كان الأمر بيديه.

ولعل السبب فى موقف اللاحق فى الوزارة من السابق يعود إلى الرغبة فى إيصاد الأبواب أمام أمير المؤمنين إذا ماأراد الاستعانة بالمعزول مرة ثانية فى الوزارة؛ ومن ثم يصفو الجو للوزير! على أية حال فإن الشغل الشاغل "لحامد بن العباس" فى وزارته كان تحصيل المال من "ابن الفرات" وأتباعه، وإذا كنا قد ألمعنا إلى ماآلت إليه المواجهة مع

---

(١) التنوخى: نشوار المحاضرة: ج٢، ص٣٢، ص٣٣، ص٣٤.

"ابن الفرات" وماأحرزه فيها من نجاح زاد فى حرج موقف "حامد" من ناحية، ومن ناحية أخرى استطاعته خلال تلك المواجهة الحفاظ على مكانته عند أمير المؤمنين بالرغم من عزله، فإن مانزل بذوى "ابن الفرات" وخلصائه من العمال من صنوف التعذيب والمصادرات يجعل الفؤاد ينخلع من نياطه!!

ذلك أن المحسن بن الوزير بن الفرات يعذب بأشد أنواع العذاب فيؤخذ خطبه بثلاثمائة ألف دينار[١]، لم ينس "المحسن بن الفرات" ماأنزله به الوزير "حامد بن العباس" وغيره حين عاد أبوه للوزارة للمرة الثالثة فصرف جُل همه إلى تصفية الحسابات مع "حامد" كما سنبينه بعد ذلك فى صفحات هذا البحث.

ومن ثم كان التعذيب والتعذيب المضاد سبباً فى اضطراب أمر الوزارة وإضعاف سلطة الخلافة!! وهذا هو "موسى بن خلف" أحد معاونى "على بن الفرات" وخلصائه يناظر، فسألوه عن ودائع "ابن الفرات" وأمواله، فقال لهم "موسى": ماله عندى وديعة، ولا أعرف أخبار ودائعه، ولا جرى له على يدى مال ولا وليت له عملاً سلطانياً، وإنما كنت انظر فى نفقات داره.

وكان "موسى بن خلف" شيخاً كبيراً قد أتت عليه نحو تسعين سنة وكان مع ذلك عليلاً ومع ثبات "موسى" على موقفه، فإن "حامد بن العباس" لم يرع لشيخوخته حرمة، و لم يقم لعلته وزناً؛ فأمر بصفعه

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٦٤.

وصربه عير مرة حتى مات فلما سمعه دلك قال لرجالـه: أضربـوه بعـد موته سبعة عشر (سوطاً[١])!!! وجروه من قدميه وهـو ميـت وتخلعـت أذانه فى زرعة الباب وحمل إلى منزله ميتاً[٢]!!

تلك كـان إلماعـة موجـزة عـن الوزيـر "علـى بـن الفـرات" وذويـه وخلصائه خلال الفترة التى انقضت على عزله من وزارتـه الثانيـة إلى أن عاد المنصب إليه من جديد حين تولاه للمرة الثالثة.

على بن الفرات فى وزارته الثالثة:

استمر "حامد بن العباس" يدير أمور الدولة والأحوال تـزداد سـوءاً على سوء! فإن الجند ثاروا على وزارته، وكذلك بعض طوائف موظفى الدولة والحاشية لتأخر رواتبهم ونقصانها، "والقرامطة" أخذوا يهـددون المدن القريبة من بغداد بالإضافة إلى إطـلاق يـد "علـى بـن عيسـى" فـى الأمور؛ فإنه كان يعمل باسم "حامد بن العبـاس" فـى تدبيرهـا، وليـس للوزير من رأى فى تسيير الأمور سوى التوقيع! وحـين إن القصـر كمـا سلفنا غير مـدة يقوم على طوائف ينال بعضهـا مـن البعـض؛ فـإن "ابـن

---

(١) سمى السوط سوطاً؛ لأنه إذا سيط به إنسان أو دابه خلط الدم باللحم وهـو مشتق من ذلك، لأنه يخلط الدم باللحم وقولهم: ضربت زيـدان سـوطاً إنمـا معناه ضربته ضربة بسوط. ابن منظور: لسان العرب: (مادة سوط).

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٦٥، التنوخى: نشوار المحاضرة: ج٤، ص٢٩.

الفرات" راح يهتبل تلك الفرصة، فأوعز صدر الخليفة على بعض خلصائه؛ مثلما فعله بحاجبه "ابن الحوارى[١]" -كما سنوضحه-.

وبينما يعانى "ابن الفرات" من التعذيب فى محبسه على يد أعدائه رأى "بدر الحرمى" أحد خواص "المقتدر" -وكانت بينه وبين "ابن الفرات" علائق طيبة- فقال له "ابن الفرات": ياأبا الخير، الله الله فى! لك مكان من السادة ولى عليك حقوق، وقد ترى حالى والموت أسهل على مما أنا فيه، فخاطب السادة، وذكرهم حُرمتى وخدمتى فى تثبيت دولهم إذ خذلهم الناس وافتتاحى البلدان المختلفة وإثارتى الأموال المنكثرة، فإن كان ذنبى يوجب القتل، فالموت أروح!! فرجع إليهم، فخاطبهم ورفقهم، ولم يبرح حتى حل الحديد كله عن "ابن الفرات"، ثم أمر فى إدخاله الحمام، وأخذ شعره وتغيير لباسه وتسليمه إلى "زيدان القهرمانة" وترفيهه، ولم يبرح "بدر" حتى فعل جميع ذلك: وقال "لابن الفرات": إن السادة يقولون ذلك: لن ترى بعد اليوم بؤساً[٢]!!.

ولم تغرب شمس يوم الخميس لتسع باقين من ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلثمائة إلا وخلع الخليفة "المقتدر" على "على بن الفرات" خلعة الوزارة للمرة الثالثة وقد شجعه على ذلك أنه لما عرض على "على بن الفرات" مابذله "حامد بن العباس" من مال ليسديه حاجة الجند وموظف الدولة والحاشية على أن يستعن فى إدارة شئون الدولة

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٤٠، ابن الجوزى: المنتظم: ج١٣، ص١٨٩، الذهبى: العبر: ج١، ص٤٥٣.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٩٠، ص٩١.

برجال أكفاء مثل "أحمد بن إسرائيل" و"الحسن بن مخلد" قال "ابن الفرات" "للمقتدر": لو اجتمع (مع "حامد بن العباس" "الحسن بن مخلد" و"أحمد بن إسرائيل" وسائر من شهد له بالكفاءة لما كان موضعاً لتدبير المملكة ولا لضبط أعمال الدواوين، وإنه إن قلد ذلك انخرفت الهيبة وزالت الحشمة وإن "على بن عيسى" على تصرف أحواله أقوم منه وأعرف بالأعمال والتدبير).

وعرض "ابن الفرات" على الخليفة أن يضمن له خمسة أضعاف ماضمنه "حامد" إن هو ولاه الوزارة للمرة الثالثة[1]. فكان ماكان من أمر توليه الوزارة لابن الفرات والخلع عليه -كما قلنا- على كل حال فإن "على بن الفرات" لما تربع على أريكة الوزارة فى هذه المرة أزمع على تغيير سياسته السابقة التى انتهجها أثناء وزارته الأولى والثانية بحيث لا نغالى إذا ماقلنا إن وزارته الأخيرة هذه كانت لتصفية الحسابات قبل أى شيء آخر، ولكى تكون على جلية من هذا الأمر نلمع إلى علاقته بسابقه فى الوزارة "حامد بن العباس".

أضواء على العلاقات بين "ابن الفرات" و"حامد" في الوزارة الثالثة:

مرت العلاقات بين على "ابن الفرات" و"حامد" حين تولى الأول الوزارة للمرة الثالثة بمرحلتين:

أولهما: سادها الود فى العلاقات بين الرجلين!

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٨٦.

وثانيهما: حل فيها البغض والخصام محل الود والوئام!

فأما عن المرحلة الأولى: فـإن الخليفـة "المقتـدر" لمـا عهـد إلى "ابـن الفرات" بالوزارة سنة إحدى عشر وثلثمائة أمره أن لا ينكب "حامداً"، وأن يناظره على مايجب عليه من فضائل الضمان، فإذا وجب عليه شيء بحضور الكتاب والقضاه أخذ بعضه وغض الطرف عن الباقى.

ومن ثم فإن الوزير اجتهد ماوسـعه الاجتهـاد فـى إحصـاء مـالدى "حامد" مـن الأمـوال حتـى ينـاظره فـى أمرهـا أمـام الكتـاب والقضـاة ليحصل منهـا مايسـتطيع دون أن ينزل بحـامد مكروهـاً بنـاءً علـى أمـر الخليفة له. شاع خبر أمير المؤمنين مع "ابن الفرات" بالنسبة "لحامد بـن العباس" بين كبار رجال الدولة فكتب بعضهم إليه كتاباً وهو "بواسط" يتضمـن إكـرام الخليفـة لـه وحرصـه علـى عـدم إيذائـه، فـأظهر للنـاس "بواسط" أن الخليفة بعث إليه فى الحضور إلى "بغداد" فخرج إليهـا فـى موكب مهيب أحاطت به مماليكه ومعيته، فلما علم ابن الفـرات" بهيئـة قدوم "حامد" "بغداد" توجـس فـى نفسـه خيفـة! فذهـب إلى "المقتـدر" ليستطلع الأمر منه ويعلم مإإذا كان قد كتب إلى "حامد" "بواسط" فـى القدوم إلى "بغداد"، فأنكر "المقتدر" مانسب إليه فى هذا الأمر، ومن ثم فقد داهمة الشرطة موكب "حامد بن العباس" فألقت القبض على بعض رجاله وظلت تبحث عنه دون جدوى! حتـى دخـل بنفسـه متنكـراً إلى دار الخلافة، فأمر المقتدر بتسليمه "لابن الفرات[١]".

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٩٤.

عامل "ابن الفرات" "حامد" معاملة انطوت على عظيم الإكرام والإجلال له والحفاظ على مكانته! فأمر "قهرمان" داره بأن ينزل "حامداً" داراً واسعة من دياره ويفرشها فرشاً حسناً ويوسع عليه فى طعامه وشرابه وطيبه، حتى يُخدم بمثل ماكان يخدم به وهو وزير، وأن يقطع له كسوة فاخرة ويجعل معه لخدمته إذا كان خالياً خادمين أسودين أعجميين، كما أمر "قهرمانة" أن يؤنسه بنفسه عند الأكل، وأن يخدمه فى تلك الحال من الخدم والفراشين من يوثق به[١]، ثم أحضر الوزير "حامداً" بحضرة الفقهاء والكتاب والعمال والمناظرة بالحسنى كما طلب "المقتدر" من وزيره "ابن الفرات" فأقر "حامد" بمال يسلمه للدولة وقدره ألف ألف دينار[٢].

وأما المرحلة الثانية: فإنها كانت بمثابة بداية النهاية لحياة الوزير الأسبق "حامد بن العباس"؛ فإن "المحسن بن على بن الفرات" تمكن بمعاونة بعض رجالات القصر له من استصدار أمر من الخليفة بأخذ "حامد" من بين يدى والده، وأعطى ضماناً على نفسه للحضرة بخمسمائة ألف دينار.

ولم تجدى نفعاً جهود "على بن الفرات" لدى أمير المؤمنين كى لا يتسلم ولده "حامد بن العباس[٣]"!!

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٩٨، ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٤١.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٤١، ابن الجوزى: المنتظم: ج١٣، ص٢٣٢.

(٣) عبد الملك الهمزانى: التكملة: ص٢٣٤، ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٩٨.

لما تمكن "المحسن" من "حامد" أشفى غليله منه؛ فأنزل به من صنوف العذاب مايستبشع ذكره وألبسه ثياباً حاكها له من جلود القردة!! وعلى الجملة فقد سامه سوء العذاب!! وظل به حتى استخرج ما لديه من مال، ثم أشخصه إلى واسط ليبيع ماله من أملاك بها حتى يسلم أموال بيعها "للمحسن(١)".

فلما وصل إليها تخلص منه "المحسن"؛ بخادم وضعه عليه فجعل السم فى طعام أكله "حامد" فكانت فيه منيته فى الثالث عشر من رمضان سنة إحدى عشر وثلاثمائة(٢)!!

وبهذا يكون "حامد بن العباس" دفع حياته ثمناً للصراع على منصب الوزارة!! ذلك الصراع الذى أمات فؤاده حين كان يتولى الأمر؛ فعذب من عذب وقتل من قتل فإذا بالقاتل يقتل بعد ماعذب على يد من عذبه بالأمس!! وهكذا تمضى دورة الانتقام السياسى لتصيب إدارة الدولة بالاضطراب!! وإذا كانت حياة "حامد بن العباس" قد انتهت بهذه الصورة وهو الوزير الذى كان يتولى المسئولية؛ فما الذى أصاب معاونيه على يد "ابن الفرات" وولده المحسن؟

---

(١) الصفدى: الوافى بالوفيات: ج١١، ص٢٧٧.

(٢) عبد الملك الهمزانى: التكلمة: ص٢٣٥، ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٤٢.

بين "على بن الفرات" و"على بن عيسى":

لما آل أمر الوزارة "لابن الفرات" عمل على ألا يصيب على بن عيسى بمكروه؛ ومع ذلك فقد صادره على ثلثمائة ألف دينار حتى يقبل منه الخروج إلى "مكة"!

ولقد حاول "المحسن بن على بن الفرات" إنزال الأذى "بعلى بن عيسى" فحال والده بينه وبين مآربه اعترافاً بفضل "على بن عيسى" عليهم لما نكبوا فى وزارة "ابن الفرات" الثانية؛ فقد دفع من ماله عشرة آلاف دينار ليحفظ بها "المحسن بن الفرات" من الإيذاء.

ولأن "المحسن" كان على غير نهج أبيه، فى الكرم والصفح ومراعاة حقوق الأصدقاء؛ فإنه حالو أن يغتال "على بن عيسى" وهو فى طريقه إلى "مكة" فأخفق فى تحقيق مأربه ووصل "على" إلى مكة فأقام بها ينعم بإكرام أميرها الذى أشخصه مها إلى "صنعاء" بناءً على طلب "على بن الفرات[1]".

وعلى الجملة، فإن الوارس للعلاقة بين العليين "ابن عيسى" و"ابن الفرات"، يجد الأول يحرص جُل حرصه على احترام الثانى ولا يلجأ إلى مايسوءه، إلا سياسة يحفظ بها لنفسه منصبه ويؤدى بها أوامر أولى الأمر عليه؛ فهذا "على بن عيسى" ينكب على يد "على بن الفرات"،

---

(١) التنوخى: نشوار المحاضرة: ج٤، ص٧٠، عبد الملك الهمزانى: التكملة: ص٢٣٨، ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٤٢

وهو فى وزارته الثالثة مقبلاً لها، وهو يقول: أنا عبد الوزير ومن لا يعرف صاحباً ولا أستاذاً غيره، فقال له: هو كذلك وأنت فيه صادق وإنى لا أدع لك حق خدمتك القديمة لى، ولا أرد رحمة الله وماعليك بأس فى نفسه، ولولا طاعة السلطان ماأفسدنا ضيعنا عندك(١).

فأنت ترى كيف أن "ابن الفرات" فعل مافعل "بعلى بن عيسى" طاعة للسلطان وإرضاء الأفراد الحاشية الذين أبغضوه؛ لما أنزله بهم من عسف وإرهاق حين عطل أرزاقهم لبعض الوقت فى وزارة "حامد بن العباس" وتعزى مقولة "على بن عيسى" التى قالها فى حق ابن الفرات، إلى أن "أبا العباس أحمد بن محمد ابن الفرات" كان قد استخدمه فى الكتابة مع من استخدم فى وزارة عبد الله بن سليمان -كما سلفنا الحديث- فكان "على بن عيسى" يخاطب "على بن الفرات" بالأستاذ، فظل نجم "على بن عيسى" فى صعودٍ منذ ذلك الوقت حتى كان ماكان من أمر الوظائف التى تولاها(٢).

ومهما يكن من أمر فإن "على بن عيسى" قد استطاع النجاة بنفسه بسبب ذكائه وماقدم من خير خلال مدة عمله!

ظل "على بن الفرات" وولده يتعقبان عمال "حامد" للقبض عليهم ومصاردتهم على المال حتى يستطيع "ابن الفرات" الوفاء بضمانه الذى وعد به الخليفة "المقتدر" لما ولاه الوزارة الثالثة. ومن هؤلاء العمال من

---

(١) التنوخى: نشوار المنتظم: ج٤، ص٧٠.

(٢) التنوخى: نشوار المنتظم: ج٤، ص٧٠.

كانت بينهم وبين "ابن الفرات" قبل وزارته "الثالثة" بغضاء وشحناء ومنهم من أدى مهام وظيفته فى حياد، فلم يظهر شماتة فى معزول، بل أدى وظيفته ليرتزق منها مايعيشه عيشة كريمة بغض النظر عن من يتولى الوزارة ويحسن بنا الإلمام بما كان من مواقف "لابن الفرات" وولده من هؤلاء العمال الذين عاونوا "حامد بن العباس" فى مدة وزارته.

موقف "على بن الفرات" من معاونى "حامد" وعماله:

عاون "حامد بن العباس" غير واحد من الأكفاء بالإضافة "لعلى بن العباس" الذى سلفنا الحديث عن موقف "ابن الفرات" منه ومن هؤلاء "على بن مقلة": فإن هذا الرجل كان يعاون "ابن الفرات" إلى أن كان ماكان بينهم من خلافات فى وزارة "ابن الفرات" الثانية وقد أومأنا لذلك فيما سبق، فلما آل الأمر لابن "الفرات" اعتقد "ابن مقلة" أن "ابن الحوارى الحاجب" سوف يحول بين "ابن الفرات" وولده، وبين إنزال العذاب والمصادرة به؛ فأظهر نفسه ولم يلجأ إلى الاستخفاء، غير أنه توجس خيفة لما وجد "ابن الفرات" تنكر "لابن الحوارى" وأمر بالقبض عليه، ثم قبض "على بن الفرات" على "ابن مقلة" الذى أشخص إليه رقعة على يدى "إسماعيل زنجى" ذكره فيها بحرمته وقديم خدمته ويستعطفه وجعلها فى درج[1] وسأله إيصالها؛ فلما وقف "ابن

---

(١) لف الشيء بالشيء يقال: أدرجت الكتاب؛ أى طويته، وهو بالتحريك يعنى الإنفاذ به ملفوفاً إلى من أرسل إليه كى لا يطلع حامله على مافيه. ابن منظور: لسان العرب: (مادة: درج).

الفرات" عليها، تقدم بحل قيده، وقرر مصادرته على ماينهض به، ثم خفف عنه بعد ذلك وأطلقه[(١)]!.

ومن الذين عاونوا "حامد بن العباس" فى وزارته وحاولوا قدر طاقتهم تجنيب النفس مكروهاً يأتيها من "ابن الفرات" بعد توليه وزارته الأخيرة؛ "على بن محمد الحوارى"؛ حاجب الخليفة، فهذا الرجل لم تكن علاقته "بابن الفرات" طيبة فى مدة وزارته السابقة -كما بينا- وأنه لما نمى إلى علم "ابن الفرات" -حين كان فى الحبس- أن "ابن الحوارى هذا يعمل جاهداً لإفساد مساعيه فى الوصول إلى كرسى الوزارة مرة ثالثة؛ أخذ يخطط منذ ذلك الوقت لإيغار صدر "المقتدر" عليه: فانتهز "ابن الفرات" فرصة مشاورة أمير المؤمنين له فى معضلات الأمور قبل أن يدلى برأيه فيها لمستشاريه، فطلب منه مالاً يقضى به بعض حاجة ذويه، فمنحه الخليفة اثنى عشر ألف دينار على سبيل القرض، فلما خلا أمير المؤمنين "بابن الفرات" مرة أخرى فى محبسه أفرغ كيس الدنانير أمام أمير المؤمنين الذى سأله عن هذه الأموال. والسبب الذى جعله ينثرها أمامه! فقال "ابن الفرات": (ياأمير المؤمنين قد عرفتك أن أموالك تنهب وتضيع وتقضى بها الذمامات! ماتقول فى رجل واحد يرتزق فى كل شهر من شهور الأهلة هذا المقدار من مالك؛ وهو اثنى عشر ألف دينار، فاستعظم "المقتدر ذلك واستهوله! وقال: ويحك من هذا الرجل؟ قال له: "على بن محمد بن الحوارى". وهذا سوى مايصل إليه من مال

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١١٣، ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٤٠.

المنافع؛ لمكانه منك، وموضعه من الاختصاص بك، وسوى ارتفاع ضياعه وسوى المرافق التى تصل إليه من الأعمال التى يتولاها، وسوى، وسوى!! ورد الدنانير إلى المقتدر بالله وقال: إنما أردت أن تشاهد مايصنع بك وتراه بعينك. فليس الخبر كالمعاينة) فقام المقتدر وقد عظم عنده أمر مايجرى[1]!! ترك هذا الموقف أثراً كبيراً على العلاقات بين "ابن الحوارى" والخليفة، فغدت سماء العلاقات بينهما ملبدة بالغيوم حتى ولى "على بن الفرات" وزارته الثالثة.

كان من الطبيعى ألا يبادر "على بن الفرات" بعد ما ولى الورارة بالقبض على "ابن الحوارى"؛ حتى يأمن له فلا يخفى عنه أمواله ويمنحه نصحه وخبرته بما كان يدور فى القصر خلال مدة عزله ليستأنس بهذا "ابن الفرات" وهو يدير أمور وزارته إن رأى فيه صواباً ويحذر مافيه ضرراً عليه!! وهذا ماكان. ماوقع ذلك أن "ابن الفرات" لما خرج من عند الخليفة وقد خلع عليه خلعة المنصب للمرة الثالثة جلس "وابن الحوارى" بعيداً عن أعين الناس يتناجيان طويلاً! وظلت الأمور بين الرجلين على هذا المنوال! لقاءات منفردة ومناجاة إلى أن أمر "ابن الفرات" بالقبض على "ابن الحوارى" وأرسل "شفيعاً اللؤلؤى" إلى داره كى يحفظها من النهب، أما "ابن الحوارى" فإنه لقى من "ابن الفرات" بعد القبض عليه معاملة كريمة؛ فقد امر أن يعامل بالجميل فى مطعمه ومشربه، وأفردت له دار واسعة وفرشت بفرش نظيفة وراسل "ابن

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٨٨.

الفرات" "ابن الحوارى" فى مصادرة أمواله، فبذل له خطاً بسبعمائة ألف دينار[(١)].

وإذا كان ابن الحوارى قد أدى المعجل من مال المصادرة؛ مائتين وخمسين ألف دينار فإن "المحسن بن الفرات" لم يدعه ينعم بالأمن بعد تلك المصادرة لأمواله، فصب على "ابن الحوارى" العذاب صباً وأوسعه سباً وشتماً، وكان "المحسن" يعرف بين الخاصة والعامة الخبيث ابن الطيب، نعته الناس بأسوأ النعوت، فسير "ابن الحوارى" إلى "الأهواز" لبيع ممتلكاته بها لحساب المحسن، ووضع عليه من اغتاله بها، فكان "ابن الحوارى" الضحية الثانية من ضحايا "المحسن بن الفرات" وماأكثر ضحاياه[(٢)].

فإذا ما انتقلنا إلى "أبى زنبور" وهو من كان يلى خراج "مصر" فى وزارة "ابن الفرات" ثم "حامد"، وجدنا الوزير يذكر له بعد أن آل إليه المنصب للمرة الثالثة المواجة التى تمت بينهما فى حضور الوزير "حامد بن العباس"، تلك التى ألمعنا إليها ونحن نتناول "على بن الفرات" بين عزله عن الوزارة الثانية وتوليته الوزارة الثالثة.

وعلى أية حال فإن "ابن الفرات" ألقى القبض على "أبى زنبور" وناظره "بحضرة القضاة والكتاب حتى استخرج منه خطه بألف

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص٩٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٨،ص١٤٢، النويرى: نهاية الأرب: ج٢٣، ص٦٥.

وسبعمائة ألف دينار، ولم يلجأ لتعذيبه، بل عامله بالحسنى[١] ومعاونيه، وأبقى عليه فى منصبه وقتاً طويلاً!! أوعز "ابن الفرات" إلى "المقتدر" بإبعاد "مؤنس المظفر" عن الحضرة حتى لا يتغلب عليه، فيقبله فقد انضم إليه معظم الفرسان الذين صرفهم الدولة بسبب قلة الأرزاق وحاجة الدولة إلى المال الكثير حتى يعطوا منه رواتبهم[٢].

استجاب "المقتدر" لطلب وزيره، فأمر "مؤنساً" بالخروج على رأس جيش إلى الرقة فلم يجد "مؤنساً" بداً من الاستجابة إلى هذا، وأسرها فى نفسه على "أبى الحسن على بن الفرات" فخرج فى يوم مطير بجيشه من "بغداد"، وبذلك تخلص "ابن الفرات" من عقبة كانت ستحول بينه وبين تحقيق كثير من مآربه السياسية!!.

وأشهر المعاونين الذين عملوا فى القصر:

"على بن عيسى" و"نصر الحاجب"، لما تولى "ابن الفرات" الوزارة الثالثة أغرى "ابن الفرات" "المقتدر" بما لدى "لنصر من مال؛ فأمر بالقبض عليه ومصادرته، وكانت والدة "المقتدر" تحفظ لنصر مكانة كبيرة عندها؛ فأمرت ولدها بالإقلاع عن قراره، فقالت له: (قد أبعد "ابن الفرات" "مؤنساً" عنك، وهو سيفك وثقتك، ويريد الآن أن

---

(١) التنوخى: نشوار المحاضرة: ج١، ص٥٧، ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١١٥، ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٤٣.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١١٥.

ينكب حاجبك ليتمكن منك فيجازيك على مافعلته به من إزالة نعمة وهتك حرمة[١]

وبذلك حفظ "نصر الحاجب" نفسه من "ابن الفرات" وولده وعاش يحاول ماوسعته المحاولات التودد إليه[٢]؛ حتى لعب "نصر" دوراً فى جعل الخليفة يخلع وزيره "ابن الفرات" من وزارته الأخيرة.

زوال سلطة "على بن الفرات":

ظل "ابن الفرات" وولده "المحسن" يقومان بملاحقة عمال حامد ومعاونيه من لدن أيلولة الوزارة إلى "على بن الفرات"، حتى تجمعت عدة أسباب عجلت بغروب شمسه وأفول نجمه، من أهمها:

١- القرامطة:

وقد كلفوا الدولة العباسية كثيراً من الجهد والمال وأسهموا فى زوال هيبة الخلافة وضعف أمر الوزارة، فكلما جاء إلى الوزارة رجل وتركها آخر قال اللاحق للسابق تهمة[٣] ممالئتهم! وهاهم أولئك يجعلون "ابن الفرات" يلملم أمتعته ويترك ماله ودياره وذويه حين أمر "المقتدر" بخلعه من وزارته الثالثة لما نكب القرامطة الحجيج وسبوا

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١١٧.

(٢) عبد الملك الهمزانى: التكملة: ص٢٤٢، ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص٢٤٢.

(٣) التنوخى: نشوار المحاضرة: ج٤، ص١٩.

النساء والأطفال واستعبدوا الحرائر وأسروا كبار رجال الدولة ممن كانوا فى قافلة الحجيج؛ فخرجت النسوة فى "بغداد" يلطمن الخدود وقد شققن الجيوب وقد لطخن وجوههن بالقار وانضم إليهن الغوغاء، وعمت الفوضى أرجاء "بغداد" بحيث لم يوجد بها مكان إلا وهو يغلى غليناً، ويقذف بجمرات غضبه على "ابن الفرات" الذى لقبوه بالقرمطى الكبيرة[١].

٢- سياسة "المحسن بن الفرات":

إن "على بن الفرات" أرخى الحبل لولده "المحسن"؛ فأطلق له العنان، فراح يصول ويجول، يقيم ويصادر، يقتل وينفى وكأن الدنيا أقبلت عليه بوجهها ولن توليه يوماً ظهرها! وذلك خطأ كبير وقع فيه "على بن الفرات"؛ وكان سبباً فى التعجيل بخلعه، فقد أفقده ولده حب من بالقصر من معية الخليفة والعامة والذين استبشعوا فعله، وجفت ألسنتهم من كثرة دعائهم عليه! والذى يدلنا على أن "المحسن" كان يفعل ذلك بعلم من أبيه فى كثير من الأحايين؛ أنه لما حدثه بعض وجهاء الدولة فى أمر ولده قال لهم: (لو لم يفعل هذا بأعدائه ومن أساءوا إليه لما كان من أولاد الأحرار ولكان ميتاً!! فقد أحسنت للناس دفعتين؛ فما شكرونى! والله لأسيئن؛ فما مضت إلا أيام حتى قبض عليه[٢]!). ولأن "المحسن" قد ملك الانتقام عليه نفسه وصار لا يعرف إلا سفك الدماء؛ فإنه لم يرفق بأبيه فى محنته، بل زاد الأمر سوءاً عليه!

(١) ابن الجوزى: المنتظم: ص٢٣٩.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء: ج١٤، ص٤٧٨.

فحين وجد الناس ثاروا بأبيه عمد إلى قتل من كانوا فى اعتقاله من وجهاء الدولة، مثل ("إبراهيم" أخا الوزير "على بن عيسى" و"مؤنس" خادم الوزير "حامد بن العباس" و"عبد الوهاب ابن ماشاء الله" فكثر ضجيج المقتولين على بابه وخرج زويهم يطالبون بإقالة "ابن الفرات" من وزارته وأخذ القصاص من ولده "المحسن[١]"! فزاد ذلك كله من قناعة الخليفة بخلع وزيره من وزارته.

٣- وسبب ثالث عجل بخلع "على بن الفرات" من وزارته هو موقف "مؤنس" و"نصر" من الوزير:

فإن كليهما أبدى له من عين البغض ماجعلهما يهتبلان فرصة اضطراب العامة فتجرأ الثانى على الوزير فناله فى حضرة الخليفة بألسنة حداد، وهو الذى كان بالأمس القريب يتوارى من "ابن الفرات" ماستطاع، ويتذلل بين يديه كى لا يصادره أو ينكبه، والأول: أسهم فى القبض عليه حين قدم من "الرقة" بعد ماستدعاه "المقتدر" منها ليخمد فتنة القرامطة، ولقد ألمعنا فيما سلفناه إلى أسباب النفور بينهما وبين "ابن الفرات" فهذا يؤكد لنا على أنهما لعبا دوراً كبيراً فى جعل الخليفة يعجل بخلع "ابن الفرات" من وزارته الثالثة[٢].

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٢٣، الذهبى: العبر: ج١، ص٤٦٣.

(٢) عريب بن سعد: الصلة: ص١٠٤، عبد الملك الهمزانى: التكلمة: ص٢٤٢، ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٤٩.

٤- وهناك سبب رابع لا سبيل لإغفاله؛ وهو القاسم المشترك فى خلع جُل الوزراء من المنصب:

وأعنى به السعايا بالمال من قبل طلاب المنصب، فيذكر المؤرخون أن "أبا القاسم الخاقانى[1]" قد سعلى له "نصر الحاجب" و"ثمل القهرمانة" و"مؤنس" وغيرهم لدى الخليفة كى يوليه الوزارة عوضاً عن "ابن الفرات"، ومن ثم أمر الخليفة بخلع "على" من وزارته الثالثة.

وعلى كل حال، فإن المؤرخين يذكرون لنا أكثر من رواية حول الكيفية التى تم بها القبض على "أبى الحسن على بن الفرات".

فيذكر "ابن الأثير" أن "على بن الفرات" لما علم بما يجرى على ألسنة الناس من إزماع الخليفة على خلعه من وزارته، كتب إلى "المقتدر" يبين له أن كل مافعله وولده "المحسن" من التشدد فى المطالبة بالمصادرة؛ إنما كان ذلك لمصلحته ومصلحة الدولة ومن ثم فإن الناس أطلقوا ألسنتهم فى حقه يقولون: فعل ذلك "ابن الفرات"! ومن هنا كان كتابه لأمير المؤمنين؛ حتى لا يجعله يسلم أذنيه للساعين به لديه.

فأرسل أمير المؤمنين إليه من يسكنه ويذهب ترويع الخلع عنه، فركب هو وولده إلى "المقتدر" فأدخلهما إليه فطيب فؤادهما فخرجا من عنده فمنعهما "نصر الحاجب" من الخروج ووكل بهما، فدخل "مفلح" على "المقتدر"، وأشار عليه بتأخير عزله، فأمر بإطلاقهما، فخرج هو وابنه، فأما "المحسن" فإنه اختفى، وأما الوزير فإنه جلس

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٢٣، ص١٢٧.

عامة نهاره يمضى الأشغال إلى الليل، ثم بات مفكراً، فلما أصبح سمعه بعض خدمه ينشد:

وأصبح لا يدرى، وإن كان حازماً

أقدامه خيرا لـــــــــــه أم وراءه

فلما أصبح الغد وهو الثامن من ربيع الأول وارتفع النهار أتاه "نازوك" و"بليق" فى عدة من الجند فدخلوا إلى الوزير وهو عند الحُرم، فأخرجوه حافياً مكشوف الرأس، وأخذ إلى "دجلة" فألقى عليه بليقاً و"طيلساناً[(١)]" غطى به رأسه وحُمل إلى طيار فيه "مؤنس المظفر" ومعه "هلال بن بدر"، فاعتذر إليه "ابن الفرات" وألان كلامه، فقال: أنا الآن الأستاذ وكنت بالأمس الخائن الساعى فى فساد الدولة وأخرجتنى والمطر على رأسى ورؤوس أصحابى ولم تمهلنى، ثم سلم إلى "شفيع اللؤلؤى" فحبس عنده[(٢)].

ويذكر "عبد الملك الهمزانى" رواية أغفلت مكاتبة "ابن الفرات" للخليفة ولقائه به فى القصر، فيقول: إنه لما قدم "مؤنس" إلى "بغداد" بناءً على طلب الخليفة كما سلفنا فركب إليه "ابن الفرات" ولم تجر له عادة بذلك فخرج "مؤنس" إلى باب داره وسأله أن يصرف فلم يفعل

---

(١) لفظ فارسى معرب، أصله: تالسان أو تالشان وهو بفتح أو كسر أو ضم اللام نوع من الأوشحة (الشيلان) يتدلى من الكتف أو يلف حول الجسم وهو غير مخيط. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى: ج٤، ص٥٨٨.

(٢) ابن الأثير: ج٨، ص١٤٩، ص١٥٠.

فسار معــه "مؤنـس" حتـى الطيـار[١]"، ثـم أرسـل "المقتـدر" "نـازوك" و"بليق" فهجما على "ابن الفرات" فألقيا القبض عليه وأخرجوه من دار الحريم على هيئة حافي القدمين، حاسر الـرأس وأنـزلاه طيـار "مؤنـس" فلما رأت العامة "ابن الفرات" بالطيار رجمته؛ لكون "ابن الفرات" فيـه! وسلم إلى "نصر الحاجب[٢]".

وإذا أمعنا النظر فى الروايتين السابقتين وجدنا النفس تكاد تســكن إلى الأخذ بما تضمنته الرواية الأولى من وصف لكيفية القبض على "أبــى الحسن على بن الفرات"؛ لأن أمور القصر فى هذا الوقت ماكانت تدبـر فى خفاء، بحيـث لا يعمـل بهـا أحـد قبـل حدوثهـا، وكثـيراً مـاحدثت إرجافات وإشاعات سبقت أموراً عظاماً وقعت كما سلفنا فـى حديثنـا عن وزارة "على بن عيسى" وغيرها من الوقائع كما أن عــادة "المقتـدر" تقضى بألا يأمر بالقبض على وزيـر مـن وزرائـه إلا بعـد أن يكـون قـد أحكم ترتيب أمر من يأتى بعده، هــذا مـن ناحيـة ومـن ناحيـة أخـرى، ليسهل عليه تأمين الحصول على أموال الوزير المعزول قبـل أن يعمـد إلى تفريقها بين خلصائه. يضاف إلى ماتقدم إن الرواية الثانية لم تذكر شيئاً عن "المحسن" ابن الوزير؛ الذى كان المساعد الأيمـن لوالـده فـى وزارتـه الأخيرة، بينما أتت الأولى على ذلك، فذكرت استخفاءه وعدم القبـض

---

(١) نوع من أنواع السفن النهرية تسـير بالمجـاديف كـثر استعمالها فـى العصـر العباسى فى "دجلة" و"الفرات" وسميــت بذلـك لسرعتها وخفتهـا. أحمـد عطية الله: القاموس الإسلامى: ج٤، ص٥٨٥.

(٢) عبد الملك الهمزانى: التكملة: ج٨، ص٣١٢.

عليه معه، وهو مايتوافق مع الوقائع التي ستذكرها في كيفية القبض على ابن الوزير، الأمر الذى يدعونا لترجيح الرواية الأولى والأخذ بها دون الثانية.

وعلى كل حال فإن "مؤنساً"، و"نصراً" ومن كان معهما ولف لفهما فى عدائه "لابن الفرات"؛ راحوا يواجهونه بمآخذ أخذوها عليه من سفك دماء رجال بغير حق! وإيغاء صدر الخليفة على أعوانه، لا شيء سوى أن يخلوا الجو "لابن الفرات" وولده الذى يجيب بصلاته على كل مأخذ، وأثبت "المؤنس" بما لا يدع مجالاً للشك أن الخليفة هو الذى أمر بإشخاصه إلى "الرقة"؛ لمآخذ أخذها عليه، ووهم على رقعة أرسل بها الخليفة "لابن الفرات" تثبت صحة كل ماذكره الوزير المعزول "لمؤنس" ومن معه.

فلما وقف "المقتدر" على مافى رقعته التى واجهه بها "مؤنس"؛ ازداد غيظه على "ابن الفرات"، فأمر "هارون" بضرب الوزير بالسوط، فضربه حتى استخرج خطة بعشرين ألف دينار[١]! أما "أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الله الخاقانى"؛ فلما استوى على كرسى الوزارة أحضر "ابن الفرات" لمناظرته وولده بحضرة الكتاب والفقهاء، على يد رجل يبغض "ابن الفرات؛ يعرف "بنقد الشر"، فلم يستطيع استخراج مال آخر من الوزير المعزول[٢].

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٣٥.

(٢) عريب بن سعد: الصلة: ص١٠٤، ١٠٥، عبد الملك الهمزانى: التكملة: ص٢٤٤.

فلما يئس "المقتدر" من نجاح "هارون"، ثم "نقد الشر" في مناظرتهما "لابن الفرات" عهد إلى "نازوك" بذلك؛ وكان يعرف بشدة بطشة بمن يقبض عليه؛ لأنه كان من أرباب السيوف، يتولى الشرطة للخليفة فضرب "ابن الفرات" ضرباً شديداً "ثلاث مرات"، فلم يستخرج منه قطميراً!! ويأس قائد الشرطة مثل سابقيه من جدوى استمرار تعذيب الوزير وولده قصد استخراج المال[١] فرأى الخليفة أن يحمل الوزير المعزول وولده إلى دار الخلافة، ليحبسا فيها؛ ليتسنى له استخراج المال منهما، بطريقته الخاصة، ثارت ثائرة الحاقدين على "ابن الفرات" فجهدوا فى منع الخليفة من المضى قدوماً فى حبس الوزير المعزول بداره؛ حتى لا يفكر فى استوزاره للمرة الرابعة؛ فيعمد إلى التنكيل بهم ومصادرتهم ومن ثم فقد أشاعوا فى العامة أن الخليفة سيوزر "ابن الفرات" للمرة الرابعة، وحيث إن الشارع البغدادى كان على يقين من أن "ابن الفرات" كان السبب فى تجرؤ القرامطة على سلطان الدولة بالإضافة إلى مافعل "المحسن" من أفعاله الشنيعة بكثير منهم، فقد خرج البغداديون فى جمع كبير ومعهم الغلمان الحجرية فوصلوا قصر الخليفة وطالبوه بقتل "ابن الفرات" وولده، وإلا، فإن الدولة سيختل نظامها وينتشر فيها الفساد، ومن ثم فإن أمير المؤمنين قد أقلع عن رأيه فى إقامة الوزير المعزول فى داره[٢].

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٣٦.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٣٧، الذهبى: سير أعلام النبلاء: ج١٤، ص٤٧٨، ص٤٧٩.

أما "المحسن" ولده فإنه كان قد لجأ للاستخفاء عن طالبيه بعد القبض على أبيه، فكانت حماته "حنزابة" تلبسه ثياب النساء نهاراً وتسير به إلى المقابر حتى إذا جن الليل ولف الظلام المكان عادت به إلى دارها، فظلت على ذلك أياماً حتى ألجأتها ظروفها إلى البقاء فى مكانها والإقامة عند امرأة؛ فلما وصفت لها فأدخلت "المحسن" منزلها على أنه امرأة؛ فلما وقفت على أمره وعرفت أنه "المحسن بن على بن الفرات"؛ سارت مهرولة إلى دار الخلافة، فأعلمت "نصر الحاجب[1] بالأمر، فأم الدار بسرعة وألقى القبض على ولد الوزير المعزول فحبسه وصب عليه العذاب صباً، ثم دفع إلى "نازوك" الذى يئس من جدوى الاستمرار فى تعذيبه من أجل استخراج المال منه! فقال للخليفة "المقتدر" إن "المحسن" مع ترفه قد تدود يدنه! وصبر بعد ذلك على مكاره عظام لم يسمع بمثلها! وقد مضت له الآن أيام لم يطعم طعاماً؛ وإنما يشرب الماء شرباً يسيراً! وهو فى أكثر أوقاته مغشى عليه[2]! ومع ذلك فلم يقر بالمال!! وعلى كل حال، فإن الخليفة قد أمر بقتل "على بن الفرات" وابنه!! فبدأوا بالابن وجاءوا براسه بين يدى أبيه: فلما رآها فزع وجذع!! وعرض على الذين جاءوا لقتله مالاً كثيراً إن هم أبقوا على حياته؛ فلم يسمعوا له! فعجلوه بالسيف فى يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتى عشر وثلثمائة، فمات عن عمر بلغ إحدى

---

(١) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٣٦، ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٥١.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٣٦.

وسبعين سنة، وكان عمر ولده "المحسن" حين قتل ثلاث وثلاثين سنة[(١)]. ولقد رثاه أحد الشعراء بقصيدة منها:

فرات غاض من آل الفـــــــرات

تفاضى عليه ومع المكرمــــــات

سماء غودرت فى بطـــــن أرض

وبحر غاض فى بعض الفـــــلاة[(٢)]

عسى الأيام آخذة بثــــــأر

فتأخذ لى بثأر المأثــــــورات

وبذلك انتهت حياة واحد من كبار وزراء "المقتدر" نهاية مأسوية!! بعد مالعب دوراً كبيراً فى الحياة السياسية خلال تلك الحقبة! أما ذويه وبنيه، فإن أحوالهم من بعده قد تضعضعت! فحجبوا عن الأضواء إلى حين رق "مؤنس المظفر" لهم، فشفع فى ولدى "على بن الفرات"؛ "عبد الله" و"أبى نصر"، فوصلهما بعشرين ألف دينار[(٣)]. أما زوج "المحسن"؛ فإنها صودرت على سبعمائة ألف دينار[(٤)]! وتركت أمينة لتعيش حياتها وحيدة! وهى تجنى ثمار مافعله زوجها

---

(١) عريب بن سعد: الصلة: ص١٠٤، ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٣٩، ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٥٣.

(٢) التنوخى: نشوار المحاضرة: ج٤، ص٤٢: ح٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٥٤.

(٤) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١٤١، عبد الملك الهمزانى: التكملة: ص٢٤٦.

بالناس من أمور أقل مايقال عنها: إنها لا تمت للإنسانية بصلة!! وقبل أن نولى وجهنا شطر واحد من "بنى الفرات" تولوا الوزارة بعد ذلك بمدة تُعد بالسنوات فصلت بينه وبين مقتل "أبى الحسن على بن الفرات"، لابد لنا من الوقوف مع المؤرخين الذين سطروا فى مصادر التاريخ العباسى آراء، منها: المادح "لعلى بن الفرات"؛ الحامد لأفعاله، ومنها: القادح فيه، الناقم عليه؛ بسبب تدهور بعض المناصب فى وزارته.

على بن الفرات فى الميزان ماله وماعليه:

من الطبيعى أن تختلف آراء الناس فى الحكم على من يتولى المسئولية فنجد منهم من يذمه، ومن يمدحه، وأبو "الحسن على بن الفرات" وزير عاش فى عصر تباينت فيه الأهواء، وكثرت فيه الآراء، وعمت فيه السعايات، فلا مراء فى أن ذلك سيؤثر على المؤرخين الذين عمدوا إلى تقييمه، فالمعاصر منهم: يحكم عليه أوله برؤيته الخاصة للأمور، وهو بشر يصيب ويخطئ!، وغير المعاصر: فحكمه مبنى على من نقل عن المعاصرين.

فأما المؤرخون الذين أثنوا عليه فمنهم من نعته بالتواضع، فإن حين آل إليه منصب الوزارة منع وجهاء الدولة من المشى بين يديه؛ فلما كُلم فى ذلك، قال: (أنا لا أكلف هذا غلمانى، فكيف أكلف أحراراً لا إحسان لى عليهم؟![1]).

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٣، ص٤٢٣.

ومنهم من وصفه بأوصاف الكمال التى تتمنى الرعية أن تكون فى من يتولى أمورها فقال "ابن الأثير" عن "أبى الحسن على بن الفرات" كان (كريماً، ذا رئاسة وكفاية فى عمله حسن السؤال والجواب[١]) بداره حجرة شراب يتوجه الناس على اختلاف طبقاتهم إليها غلمانهم؛ يأخذون منها الأشربة والجلاب إلى دورهم.

وكان يجرى الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم والدين والبيوت والفقراء أكثرهم مائة درهم فى الشهر وأقلهم خمسة دراهم[٢]. وعلل. اتفاقه على الأدباء وغيرهم من رجالات العلم بقوله: (لعل الواحد منهم يبخل على نفسه بدافق فضة أو دونها ويصرفه إلى ثمن ورق وحبر[٣])!!

(وكان "ابن الفرات" موصوفاً بسعة الصدر وحسن الخلق وكان فرق فى الشعراء مالا فقال لما جرى حديث هؤلاء: أنا أولى بمعاونتهم على أمرهم وأطلق لهم لما يصرفونه إلى ذلك، عشرين ألف درهم[٤]).

---

(١) ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص١٥٤، ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١١٩، ص١٢٠.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٣، ص٤٢٢، ص٤٢٣.

(٣) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١١٩.

(٤) ابن مسكويه: تجارب الأمم: ج١، ص١١٩.

ذكر "الصولى" المعاصر "لابن الفرات" أنه (مدحه بقصيدة فحصل له فى ذلك اليوم ستمائة دينار[١]).

ومن أعمال الخير التى قام به "على بن الفرات" للرعية بهدف التخفيف عليهم، والإحسان إليهم، أنه أنشا مارستان وأوقف عليه من ماله مائتى دينار فى كل شهر من أشهر الأهلة[٢]، ومن صفاته التى ذكره بها بعض المؤرخين: العفو؛ فإنه كثيراً ماأمر بالعقوبة ثم يعود فيعفوا عن المعاقب! من ذلك أنه غضب يوماً من رجل فقال: اضربوه مائة سوط؛ ثم أرسل رسولاً فقال: اضربوه خمسين ثم أرسل آخر وقال: لا تضربون، وأعطوه عشرين دينار فكفاه مامر به المسكين من الخوف[٣]!!.

وإذا كانت هذه بعذ حسنات "ابن الفرات" وصفاته الحميدة؛ فإن هناك مآخذ أخذها عليه بعض المؤرخين. والتى منها ماذكره "ابن الأثير" عن الوزير "على بن الفرات" من أنه كان يطلق العنا لعماله فى مدة وزارته الثلاث فلا يعاقب من تظلمت منه الرعية، فيغض الطرف ويصم الآذان عن شكاية تأتيه على يد واحد من الرعية، فيها تظلم من أحد عماله! مما زاد فى طغيانهم! ومن ثم غضب الناس؛ وآية ذلك: أن امرأة ظلمها أحد عماله، (فكتبت إليه تشكو منه وهو لا يرد لها جواباً، فلقيته يوماً، وقالت له: أسألك با لله أن تسمع منى كلمة، فوقف لها،

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٣، ص٤٢٢.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم: ج١٣، ص٢٢٠.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٣، ص٤٢٣.

فقالت: قد كتبت إليك فى ظلامتى غير مرة و لم تجبنـى، وقـد تركتـك، وكتبتها إلى الله تعالى! فلما كان بعد أيام، ورأى تغـير حالـه، قـال لمـن معه من أصحابه: ماأظن إلا جواب رقعة تلك المرأة المظلومة قد خـرج، فكان كما قال[١] من أمر خلعه ثم قتله فى السنة نفسها!!

وفى رأينا أن هذا المآخذ ليس بالأمر الهين! فكان ينبغى علـى "ابـن الفرات" وهو الذى حنكته التجارب ومرسته الأيام فـى أعمـال الإدارة! أن يحسن اختيار عماله ويوصيهـم خـيراً برعيتـه؛ لأن نجـاح المسئول لا يكون بجهده وصفاته بقدر مايكون فى حسن اختياره لعماله الأكفاء!

ولقـد عـاب عليـه آخـرون مجاملتـه المفرطـة لبعـض مـن اختـارهم للوظائف غير مبال بمصلحة الدولة. من ذلك، مافعله "على بن الفرات" مع "أبى أمية بن الأحوص البزاز" لما كـان متنكـراً عنـده قبـل أن يتـولى الوزارة الأولى فقد كان بينهما حوار قال له فيه "ابن الفرات":

(إن وليت الوزارة فأى شيء تحب أن أصنع بك؟ فقال:

قلدنى شيئاً من أعمال السلطان، قال: ويحك! لا يجئ منـك عـامل ولا أمير ولا قائد ولا كاتب ولا صاحب شرطة فأيش أقلـدك؟ قـال: لا أدرى! قال: أقلدك القضاء. فلما تولى "ابن الفرات" الوزارة وفى له بما وعده به، فكان "أبو الأحـوص" يدير أمـر قضـاء "البصـرة" و"واسـط" و"الأهواز" تحت حماية ورعاية "ابن الفرات"، وهو لا يقيـم وزنـاً لـوالى "البصرة" "ابن كنـداج"؛ الـذى اهتبـل فرصـة نكبـة "ابـن الفـرات" فـى

---

(١) الكامل: ج٨، ص١٥٥.

ورارته الأولى؛ فـألقى القبـض علـى "أبـى أميـة بـن الأحـوص" فأودعـه السجن وظل به حتى مات فى سنة ثلاثمائة للهجرة[(١)]. مما تقـدم يتبـين لنا أن "على بن الفرات" ولى القضاء وهو وظيفة من الوظـائف الخطـيرة لرجل رآه غير صالح لمنصب الكتابة! فهذا إن دلنا على شيء فإنـه يـدل على أن المناصب كانت تُسند لغير العالمين بكيفية تدبيرها ولا واجباتها! ومن نافلة القول: الإشـارة إلى مـاينبغى توفـره فـى القـاضى مـن الإلمـام بعلوم الشرع إلماماً يجعلـه حجـة فيهـا كـى يسـتطيع الحكـم بـين النـاس بالقسطاس المستقيم. والذى لا ريب فيه أن رجلاً على غرار "أبى أمية" حين يتولى القضاء، فإنه يحكم بين الرعية على غير هـدى! فتضيـع هيئـة القضاء بينهم وينتشر الظلم بين أفرادهم فلا يؤمون مجلسهم للإنصاف!

وهذا يعد خلل فى الملك! نسب بعضهـم ابتـداءه فـى عصرنـا هـذا "لابن الفرات"؛ فهذا "ابن عياش" يقول: (وكان أول مـاانحل مـن نظـام سياسة الملك فيمـا شـاهدناه، القضـاء؛ فـإن "ابـن الفـرات" وضـع منـه وأدخل فيه أقواماً لا علم لهم ولا أبـوه، فمـا مضـت إلا سـنوات حتـى ابتدأت الوزارة تتضعضع ويتقلدها من ليس بأهل لها[(٢)]، ولسوف يتضح لنا صدق هذه العبارة حين تلمع إلى وزارة "أبى الفضل" "ابن جعفر بـن الفرات".

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم: ج١٣، ص١٣٤، ابن كثير: البداية والنهايـة: ج١١، ص١١٨.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٣، ص٢٤٣.

وزارة "أبو الفضل بن جعفر بن الفرات":

ظل اسم أسرة الفراتيين بعيداً عن الأضواء بعد الذى وقع على عميدهم "أبى الحسن على بن الفرات" سنة اثنتى عشر وثلاثمائة إلى أن أستوزر "المقتدر" رجلاً من عائلتهم هو "أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات" ويعرف بابن "حنزابة" نسبة إلى أمه؛ وهى جارية رومية - شهد له غير واحد من المؤرخين بجودة الكتابة والتدين والكرم[1]!

ولقد استعانا "المقتدر" به حين وجد الأمور فى دولته تسير بسرعة نحو التدهور فى عهد وزيره "الحسين بن القاسم ابن عبد الله بن سليمان بن وهب"، الذى لم يحسن إدارة وزارته فندرت الأموال فى حاضرة الدولة العباسية ولما حاول "المقتدر" تدارك الأمر؛ أمد وزيره "بالخصيبى"، الذى بين لأمير المؤمنين!! أن وزيره "الحسين بن القاسم" يكذبه القول! وأن الأمور بلغت مداها فى الفساد، فألقى أمير المؤمنين القبض على وزيره المذكور! وكانت مدة وزارته سبعة أشهر.

واستوزر منذ ذلك الوقت "أبا الفضل بن جعفر بن الفرات" فى ربيع الأولى سنة عشرين وثلاثمائة.

فلم يعامل سلفه بسوء المعاملة، بل أحسن إليه وأكرمه[2]! وصارت الأمور فى الدولة العباسية على خلاف ماكان يهواه "أبو الفتح

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج٣، ص٤٢٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٨، ص٢٣٨.

الفضل بن جعفر"، فلم تكد تمضى سوى فترة يسيرة على وزارته لم يتمكن فيها من ترتيب أموره وإظهار براعته الإدارية، حتى ثارت فى جمادى الأولى سنة عشرين وثلثمائة العامة "ببغداد" على الخليفة وعماله؛ فعطلوا صلاة الجمعة ونالوا من إمام المسجد الجامع "ببغداد مانالوا! وذلك لأن هيبة الدولة قد تلاشت فى نظر جيرانها فطمع فيها أعداؤها!

ووصل الثوار إلى دار الوزير "أبى الفتح الفضل بن جعفر" فرموا قصره بالسهام، و لم تخمد تلك الثورة إلا حين توسط بين العامة والخليفة "أحمد بن خاقان[(١)]".

لم ينعم الوزير "أبو الفضل" بعد ذلك بالاستقرار! فلم يكد يمضى سوى وقت يسير حتى قتل الخليفة "المقتدر" الذى استوزره فجرت عليه الوزارة المآسى والآلام والاستتار عن أعين الناس؛ لينجوا من ملاحقة "القاهر" له!

فإن الخليفة الذى تولى أمر الدولة بعد "المقتدر" كان قد قتل "سليمان بن الحسن" لما جاء إليه ليوليه الوزارة بناءً على طلب الخليفة فظن "أبو الفتح الفضل بن جعفر" أن مآله سيكون القتل على غرار سلفه[(٢)]، فظل فى استتارة حتى استطاع النجاة بنفسه من ملاحقة "القاهر" له!

---

(١) عريب بن سعد: الصلة: ص١٤٨.

(٢) عبد الملك الهمزانى: التكملة: ص٢٨٢، السيوطى: تاريخ الخلفاء: ص٣٨٤، ص٣٨٦.

عاد "أبو الفضل" للوزارة للمرة الثانية فى عهد "الراضى با لله" بناء على طلب "ابن رائق"؛ الذى كان إليه الحول والطول فى "بغداد"، فأرسل إلى "أبى الفضل" وهو "بمصر" يتولى أمر خراجها حتى يحضر إلى حاضرة الدولة العباسية ليوليه الوزارة ليحصل على مالديه من مال، فأرسل إليه الخلع فلبسها قبل أن يدخل "بغداد" فى سنة خمس وعشرين وثلثمائة[١]، وقضى "أبو الفتح الفضل بن جعفر" فى "بغداد" عام، رأى بعده العودة إلى حيث كان قبل أن يتولى الوزارة "للراضى" و"ابن رائق،، فخرج من "بغداد" يريد "الشام" فوافته المنية فى جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة[٢] وهو فى الطريق!.

وتمضى الأيام بأسرة الفراتيين بعد وفاة "أبى الفتح الفضل بن جعفر"! فنرى ولده "جعفر بن حنزابة" "المحدث أبو الفضل" البغدادى[٣]" يلى وزارة "مصر" لكافور الإخشيدى[٤].

---

(١) ابن الأثير: الكامل - ج٨ ص٣٢٧ - الذهبى: سير أعلام النبلاء: ج١٤، ص٤٧٩، والسيوطى: تاريخ الخلفاء: ص٣٩٢.

(٢) عبد الملك الهمزانى: التكملة: ص٣١٨، ابن الأثير: الكامل - ج٨ ص٣٥٤، والذهبى: سير أعلام النبلاء: ج١٤، ص٤٧٩.

(٣) ولد الوزير المذكور سنة ثمان وثلثمائة وتوفى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة. ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات: ج١، ص٢٠٣.

(٤) كلمة تركية تعنى بياض الشمس مشتقة من لفظ (آق شين) لقب بها ملوك فرغانه. أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى: ج١، ص٤٧.

ويلوح لنا أن الوزير لم يكن يعنى بالنواحى السياسية والإدارية قدر عنايته بتحصيل العلوم ولاسيما علم الحديث الذى بلغ فيه الشهرة!! فبسببه، خرج "الدار قطنى" إلى "مصر"، ومن ثم فإننا لمن نقف من خلال المصادر إلى بين أيدينا على جهود إدارية للوزير "بمصر[١]".

وبهذا الوزير ختم التاريخ السياسى لبنى الفرات الذين عاشوا فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى، وأثروا فى الأحداث سلباً وإيجاباً. بحاضرة الدولة العباسية حتى انقضى الثلث الأول من القرن الرابع الهجرى.

وعلى أية حال، فإن شمس الفراتيين قد ذهب شعاعها وولت أيامها وأعطتهم الدنيا ظهرها. ولم يبق لنا إلا تاريخهم ليشهد لهم أو عليهم، وفيه عبرة للمعتبرين!.

---

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء: ج١٤، ص٤٧٩، ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات: ج١، ص٢٠٣.

ثبت المصادر والمراجع

١- أحمد عطية الله: القاموس الإسلامى: خمس مجلدات صدر أولها فى محرم (١٣٨٣هـ/مايو ١٩٦٣م) وآخرها فى (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) - الناشر: مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ط/١.

٢- ابن الأثير: أبو الحسن على بن أبى الكرم: ت (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) - الكامل فى التاريخ: دار الكتاب العربى - بيروت - (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

٣- التنوخى: القاضى أبى على المحسن على: ت (٣٨٤هـ) نشوار المحاضرة أخبار المذاكرة: ثمان أجزاء - تحقيق: عبودة الشالجى المحامى - طبعة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

٤- الجهشيارى: أبو عبد الله محمد بن عبدوس: ت (٣٣١هـ/٩٣٣م) - كتاب الوزراء والكتاب حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى عبد الحفيظ شلبى.

٥- ابن الجوزى: جمال الدين أبو الفرج: ت (٥٩٧هـ/١٢٠٠ - ١٢٠١م) - المنتظم فى أخبار الملوك والأمم: حيدر آباد الدكن: (١٣٥٧هـ/١٣٥٨م).

٦- الخطيب البغدادى: الحافظ أبى بكر أحمد بن على: (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠ - ١٠٧١م) - تاريخ بغداد أو مدينة السلام - القاهرة (١٣٤٩هـ/١٩٣١م).

٧- ابن خلدون: عبد الرحمن محمد (٨٠٨هـ/١٤٠٥ - ١٤٠٦م)
تاريخ ابن خلدون - دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٣م.

٨- ابن خلكان: شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم: ت (٦٨١هـ/١٢٧١م) - وفيات الأعيان: تحقيق/ إحسان عباس - دار بيروت - الطباعة للنشر (١٣٨٥هـ/١٩٦٦م).

٩- الصابى: هلال بن المحسن: ت (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) - تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء: تحقيق عبد الستار أحمد فراج - دار أخبار الكتب العربية - رسوم دار الخلافة - نشر كوركيس عواد - مطبعة العانى بغداد (١٣٨٤هـ).

١٠- صفدى: صلاح الدين خليل بن أيبك محمد بن محمد بن محمد بن إبراهم بن عبد الرحمن: دار النشر فواتر ستايز يفياون ت (١٣٨هـ/١٩٦٢م) - إصدار جميعة المستشرقين الألمامة - البران ويتريش وهانس رويدن رويمر.

١١- صفى الدين عبد المؤمن: بن عبد الحق البغدادى المتوفى ٧٣٩هـ وهو مختصر معجم البلدان لياقوت: تحقيق وتعليق/ على محمد البجاوى - دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) - الطبعة الأولى (١٢٧٣هـ/١٩٥٤م).

١٢- الصولى: أبو بكر محمد بن يحيى (ت: ٣٣٥هـ/٩٤٦م) - أخبار الراضى با لله والمتقى لله: عنى بنشره هيودت ده - مطبعة الصاوى (١٩٣٤م).

١٣- ابن طباطبا: محمد بن على طباطبا (ت: ٧٠٩هـ/١٣٠٩ - ١٣١٠م) - الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية: مكتبة المعارف بالقاهرة (١٩٨٣م).

١٤- الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م) - تاريخ الأمم والملوك: تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم - ١١ جزء - دار سويدان بيروت.

١٥- عبد السلام الترمانيني: أزمنة التاريخ الإسلامى: مجلدان - مراجعة وتحقيق الدكتور/ شاهر مصطفى، د/ أحمد مختار العبادى - الطبعة الأولى - الكويت (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

١٦- عبد الملك الهمزانى: المنتخب من كتاب ذيل المذيل لمحمد ابن جرير الطبرى: تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية - دار المعارف.

١٧- عريب بن سعد القرطبى: صلة تاريخ الطبرى: تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية - دار المعارف.

١٨- عماد الحنبلى أبى الفلاح عبد الحى: (ت: ١٠٨٩) - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - تحقيق لجنة/ إحياء التراث العربى فى دار الأوقاف الجديدة - الجزء الأول منشورات دار الآفاق الجديدة.

١٩- النويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت (٦٧٧هـ/ ٧٣٣هـ) - نهاية الإرب فى فنون الأدب: الجزء الثالث والعشرون - تحقيق د/ أحمد كمال ذكى - مراجعة د/ محمد مصطفى زيادة - الهيئة العامة المصرية للكتاب (١٩٨٠م).

٢٠- الماوردى: أبو الحسن على محمد بن حبيب (ت: ٤٥٠هـ/ ١٠٨٥م) - الأحكام السلطانية والولايات الدينية: مطبعة البابى الحلبى - الطبعة الثالثة (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

٢١- السعودى: أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) - مروج الذهب ومعادن الجوهر: القاهرة (١٣٤٦م) - التنبه والإشراف - القاهرة (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).

٢٢- مسكويه: أبو على أحمد بن محمد ت (٤٢١هـ/١٠٣٠م) - تجارب الأمم وتعاقف الهمم: تصحيح ونشر هاف آمدروز - مطبعة شركة التمدن الصناعية (١٣٣٢هـ/١٩١٤م).

٢٣- محمد بن أحمد بن عثمان: الذهبى ت (٧٤٨هـ) - العبر فى خبر: من غبر ثلاثة أحزاء - حققه وضبطه/ أبو هاجر محمد السعيد بسيونى زغلول - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٢٤- سير أعلام النبلاء: ٢٢ جزء - تحقيق وتعليق شعيب الأرنوط وحسين الأسد - الناشر مؤسسة الرسالة بيروت ط١ (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٢٥- محمد بن شاكر أحمد الكتبى: فوات الوفيات ت (٧٦٤هـ) - وهو ذيل على كتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان: حققه وضبطه وعلق حواشيه/ محمد محيى الدين عبد الحميد - طبع دار النهضة المصرية.

٢٦- ياقوت الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله الحمدى ت (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) - معجم البلدان: بيروت - دار أخبار التراث العربى (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).